

**کٲٲٲ آتٲ خان**

**گهلاویٲ**



كهلاويز

# كته آته خان

ترجمة : عبد الكريم شيخاني

اسم الكتاب : كَنَّة آتة خان
اسم المؤلف : گه لاویژ صالح فتاح
ترجمة : عبد الكريم شيخاني
تصميم الغلاف: هريم عثمان
عدد النسخ : (١٠٠٠) نسخة
السنة الطبع: طبعة جديدة/السليمانية/ ٢٠١٨

رشفت آتة خان، إستكانة الشاي برشفتين وسارعت بلهفة الى السلام التي كانت مازالت ابنتها ثخشان في منتصفها، بحرارة ممتزجة بما تشبه الصراخ صاحت عليها:

- قفي عزيزي... أرجوك أضيفي أسم مليحة أبنة عمي في الورقة التي عندك لأنني كنت قد نسيت تدوينها فيها وقفت ثخشان ونظرت الى قصاصة الورق التي كانت بيدها وبتعجب بالغ قالت:

- ماما.. لست أدري ماذا تفعلين؟ وما هو بالضبط ما تقصدينه؟.

لو سارت الأمور وفق مشيئتك فإننا نحتاج الى ما لا يقل عن سبع سيارات!! لأنه حسب رغبتك يفترض أن يحضر جميع الأهل والأقرباء دون استثناء. مرة أخرى قالت أمها متوسلة: ابنتي العزيزة، مليحة مسكينة فهي ستألم حين لاندعوها وسوف تفكر في نفسها بأحوالها وتقول:

"لأنني فقيرة ووضعني المادي ليس على مايرام لايغيرني أحد انتباهه".

كانت آتة خان مازالت تريد الاستمرار في الحديث حين قاطعتها ثخشان وأخرجت قلمها وهي تقول:

-حسناً على الرأس والعين، ها أني أضفت مليحة خان الى القائمة ولكن أرجوا أن يكون أسمها هو آخر الأسماء، وأقسم بحياة أبي وحياة حسن سوف لن أضيف أسما آخر الى هذه القائمة. كفى يا أماه، الآن سيصلحون بأنفسهم بالسلامة بإذن الله وسوف يلتقي بهم الجميع اذاً لاداعي لهذا الإزدحام. كانت آتة خان قلقة، لا يقتسر بها مكان، تحسب الساعات والأيام لقدم يوم الجمعة، وكانت تتخيل إن هذه الأيام القليلة بمثابة سنوات لأنها لاتنقضي بنظرها، فهو الموعد الذي كانت تنتظره منذ سنوات.

أصبح البيت مهياً، فرشت السجاجيد في الغرف، غرفة حسن وعروسه الحبيبة وغرفة لحفيديها مرتبتان ومهياتان ولم تنس تزويد غرفة الحفيدين بلعب الأطفال الجميلة والتي كانت قد وضعتها في ركن من أركان الغرفة بترتيب منتظم، والأستعدادات كانت قد بدأت لهذا اليوم منذ حوالي شهرين، كان البيت غاصاً بالأقرباء والأهل الذين كانوا يزورون ويعاونونها في ترتيب البيت، هذا عدا الفتية الذين يعملون لدى زوجها ميرزا علي، الذين كانوا يتناوبون في المجئ الى البيت لتبوية طلبات آتة خان وتنفيذها بدقة. وقبل أسابيع كانت قد أوصت بشراء البقلاوة ومختلف أنواع الحلويات الفاخرة وأنواع الضرسات رغم ان زوجها ميرزا علي وابنته ثخشان كانا يعاتبانها وينبهانها الى أنه مازال في الوقت متسع، وان موعد وصول الزائر العزيز ليس قريباً بالحد الذي تتصوره، وان هذه المأكولات والحلويات ستفسد فلتصبر قليلاً ريثما يحين الموعد، أنئذ سيلبون كل ماتطلبه وكما قالت لها ثخشان: أحلفك بالله كم هو عدد المرات التي صنعت فيها بيديك

المعجنات وأشترت الحلويات ثم أستغنيت عنها وعدت الى صنعها أو شراؤها من جديد؟ تصوري الصعوبات التي نعانيتها للحصول على الجوز ومع ذلك تقومين بإستبداله مرات لأنك لست راضية عن جودته؟.

وكان ميرزا علي يعقب علي كلام ابنته معلقا:

-إنها معذورة، فهي لاتدري ماهي المشقات التي أعانيها حتى أحصل لها على الجوز الذي تريده.

وبعد صمت قصير يواصل ميرزا علي كلامه:

-هل أبقى أولئك الموصومين بالعار على أشجار الجوز حتى نحصل على الجوز الجيد في السوق؟

إنها تتصور مازلنا في أيام زمان، ان هذه الحكومة (صاحبة الضمير الحي) لم تُبق على شيء، انها أحرقت الأخضر واليابس وقطعت جميع الأشجار المثمرة بما فيها أشجار الجوز وأحرقتها، إلهي يحرق بيوتهم وتنهار عليهم. وكأنه يتساءل قال: وهل أبقوا على قرية حتى تبقى فيها أشجار الجوز. كانت آته خان تتذمر من هذه التعليقات وكانت تنتفض بوجوههم وتقول:  
-لماذا تطيلون بالحديث عن بعض الأشياء الجانبية؟ ألا تكتفون؟

كم تحبون التعليقات وكم تكبرون الصغائر!.

وزوجها يهز رأسه ويقول:

حسناً.. حسناً ليكن ما تقولين، ولكن لاتنزعجي، كل ما عليك هو ان تصبري قليلاً.

ستلتقين بهم ان شاء الله وتشبعين من رؤيتهم، من المحتمل ان تزعلي منهم بعد فترة، أو حتى تتشاجرين معهم.

ضربت آته خان بيدها على صدرها وقالت بلهفة:

-ويحك! ماذا قلت؟ ليخرس لساني لو قلت يوماً لأحدهم تحت عينيك الكحل.

قالت ثخشان ضاحكة:

لاسمع الله، بعيد عنك ان شاءالله، لنرى! .

نظرت آتة خان الى ابنتها وزوجها وابتسامة مرتسمة على شفيتها ثم اردفت قائلة:

-أعتقد انكما تحسدانني على حبي لولدي الغائب.

قال زوجها بابتسامة ساخرة:

-ولم لا؟ ها قد مضت أربعة شهور وأنت حرمت علينا الزاد والماء، نراك

دائماً منهمكة في ترتيب البيت وبين فينة وأخرى تغيرين أماكن الإثاث، الى

درجة انك أهملتنا ولا تسألين عنا، نحن أيضاً مثلك نحبههم ومنتظر مقدمهم

لكن - سامحك الله - لقد أتعبت نفسك الى درجة لاتطاق.

مدت آتة خان يدها بدلال الى زوجها زسحبته وهي تقول له:

لاداعي لإطالة الحديث، إذهب لتذكير سواق السيارات بحضورهم بعد غد،

ونبههم الى اننا سنتحرك بعد تناول الفطور مباشرة!

لم يبق لميرزا إلا الرضوخ وقال: حسناً من هم الذين سيأتون وكم هو

عددنا؟.

ابتسمت ثخشان ومن خلال ضحكة خافية قالت:

-من المحتمل ألا تكفينا ست سيارات فليكن معها باص صغير أيضاً.

بحيرة ودهشة بالغتين ممزوجتين بتعجب قال الحاج على:

-ست سيارات ومعها باص؟ لماذا؟ وماالذي حدث؟

مسحت آتة خان صدرها بيدها وانتفضت واقفة وهي تنظر شزرا الى الحاج

وبشيء من الغيظ قالت:



-نعم! بعد كل هذه السنوات من غيبته يعود أبني مع زوجته وأطفاله وأنت تريد ان نكون أنا وأنت فقط في أستقبالهم؟.

كاد ميرزا أن يشتد به الغضب وقال:

-وثم ماذا؟ ألا تكفي سيارتان؟ احداها تقلني معك ومعنا ثخشان والأخرى لأخي حمه وبعض من أفراد أسرته.

رفعت آته خان حواشي صايتها وهزت ساعدها الممتلئ المزين بالسوارات الذهبية وبشيء من الخبث قالت:

-ماشاء الله! لقد قمت بكل شيء، ماهذه التي تقولها: أعلم يا رجل قسما بالله ستحضر معنا أختي بهية وأبنتها، وزوجة خالي قمرية خان وبنتها الإثنان وابناها، وخالتي حلاوة وأبنها ونازدار زوجة أخي وأختها..

وقبل أن تكمل سلسلة الأسماء والحاج ميرزا زوجها ينظر الى شفيتها المتحركتين وبكثير من الدهشة قاطعها بقوله:

-هل هذه الأسماء التي ذكرتها لها بقية أم أنك أكتفيت بها؟

ابنتها ثخشان التي كات تخشى دائما من حدوث شجار بين أبويها كادت أن تخرج من طورها وتنطلق منها ضحكة، لأنها تعرف بان أمها لم تكمل بعد قائمة الأسماء والتي هي على علم بأن عدداً كبيراً منهم قد أبلغوا بالموعد الذي سيصادف يوم الجمعة.

وتدخل الحاج ثانياً ليقول:

-ماشاء الله! ألا تفهموني أين سينزل كل هؤلاء؟ وأين سيبيتون؟ ان المأكولات أمرها يسير ولكن المكان والمأوى ليس أمراييناً.  
وأستمر يقول غاضبا وهو يهزيديه:

-سنصبح مسخرة للعام في المطار، يا امرأة! فكري قليلاً لماذا نأخذ معنا كل هؤلاء الناس الى بغداد؟ كيف يكون الأمر هكذا؟ ردت عليه زوجته آته خان غاضبة:

- هذه الكلمات لاتدخل الى مخلتي، كلهم سيحضرون، وعلى حضرتك تهيئة السيارات ومستلزمات السفر شئت أم أبيت، افترض ان أبني يتزوج تواء، والعروس تقيم في بغداد ونحن نذهب لنزفها الى عريستها هنا، وبالنسبة للبيت فسوف نذهب الى الفندق الذي يملكه ابن عمي أحمد، وهو يتمنى من قلبه ان يتحقق ذلك، وعند زيارته الأخيرة الى السليمانية تحدثت معه حول هذا الأمر، أبدى كل الرضا وقال: ليتفضل معكم من يشاء على الرحب والسعة، كله يهون لأجل حسن الحبيب. وقد أسقط في يد الحاج، رغم انه كان يغلي في الداخل إلا انه لم يبق له ما يقوله، وكان عليه ان يرضخ لطلبات زوجته، وخاصة أنها كانت قد أخبرتهم مسبقاً انهم جميعاً مدعوون للسفر الى بغداد. لذلك كله نظر الى ابنته ثخشان ضاربا كفا بكف دلالة على الإستسلام.

-أبي العزيز، لاتفكر بالأمر أكثر من هذا، إنها تشعر بفرح غامر لتبقي هكذا ولانكدر قلبها، وكما قلت ليكن ذلك كما تشاء.

\*\*\*

حوالي الساعة الثامنة من نهار الجمعة أصطفت السيارات أمام منزل الحاج ميرزا علي وزوجته آته خان، وكانت النساء قد تقاطرن بكامل زينتهن ورنين القلادات الذهبية والأساور تنبئ بقدومهن، وكان مع بعضهن ملابس اضافية ليتسنى لهن تبديلها عند الضرورة، وكن مجتمعات في باحة الدار بانتظار الإيدان لهن بصعود السيارات.

كلّمًا كان الحاج ينظر الى هذه الجمهرة من الناس كان يمد يده الى منديله ليمسح به العراق من وجهه الذي كان يتقطر منه غضبا، وكان خياله شاردا يقول في نفسه: "كل هؤلاء ماذا يفعلون هنا؟ وما الداعي لمجيئهم؟" ولكنه كان يظهر نفسه أمام الناس فرحاً مبدياً سروره. أقرب منه شقيقه حمه الذي يصغره بحوالي خمس سنوات وهمس في أذنه قائلاً:

-ألا تشرح لي يا أخي ما هي الحكاية؟ لماذا يحضر كل هؤلاء؟.

أخذ الحاج نفساً عميقاً متحسراً ليقول له بصوت خفيض:

-نعم يا ابن أبي كلهم سيأتون معنا الى بغداد!، وكم حاولت أن أمنع هذه المهزلة ولكنني لم أنجح، على هذا تعال وأرضخ مثلي للأمر ولا تقل شيئاً حتى لا نفتضح أمام الناس.

هز شقيقه رأسه وقال:

-حسناً، لنقل اننا رضينا بقدوم كل هؤلاء الرجال والنساء، ولكن ماذا بشأن الأطفال، إني أرى كل امرأة وهي تأخذ بيد إثنين من أولادها ألم يقل لهم أحد: أين ستأخذون كل هؤلاء الأطفال؟.

أما آته خان فكانت قد تزينت أروع ما تكون، وأردت أجمل ما عندها من الزي الكردي المزركش، ونمنمات شالها تتلألأ كأنها النجوم وكانت منهمكة بتوزيع المدعويين على السيارات لتكن فلانة مع تلك زوجة الخال وأولادها في تلك السيارة ولتركب زوجة أخيها وأختها مع الحاج، أما ثخشان فلتكن مع أهل عمها.

وهكذا! كانت ترتب وتأمّر وتنظم الى ان أتخذ كل واحد مكانه وامتلأت سيارة الباص أيضاً بركابها. وان الجيران وأهل الحي قد أجمعوا، قسم

منهم كانوا مشاركين في السفرة وآخرون كانوا يودعونهم، وببعض النساء سطلات الماء وهن على استعداد لسكبها وراء المسافرين على حسب العادة المتوارثة، وان ذلك يعني التمنيات لهم بسلامة السفر وقد بقى هذا التقليد سائداً منذ القدم والى الآن.

\*وتم تحركت السيارات وما ان قطعت بضعة كيلومترات حتى بدأت بوادر الغثيان والتقيؤ، وصداع الرأس على بعضهن، فيما كان قسم منهن تمد يدها الى سلة المأكولات السفريّة لتتناول شيئاً بحجة اطعام الأطفال وحين كانت إحدى السيارات تقف لأمر ما كانت بقية السيارات تقف وراءها للإستفسار عما حدث، أما بعض السواق فكانوا لايقفون بل يمرون مسرعين أمامهم وركابها يصفقون ويغنون وخاصة الشباب منهم الذين وجدوها فرصة سانحة ليتغيبوا عن مدارسهم، بحجة انهم ذاهبون لاستقبال قريبهم المغترب.

\*ان الراكبين في سيارة الباص كان أكثرهم من ذوي الدخل القليل من أمثال مليحة خان ابنة عم آته خان، والتي كانت آته خان لاتبخل عليها قدر استطاعتها، وكانت آته خان معتادة على مد يد العون للأسر التي كانت بحاجة الى المساعدة وتحترم أفرادها وكانوا يحبونها بدورهم رغم ان هناك بينهم من كان يحسدها، وكان هؤلاء القلة كلما أنفردوا ببعضهم كانوا يتحدثون همسا عن آته خان كما حدث داخل سيارة الباص حيث قالت إحداهن.

"من أين نزلت عليها هذه الثروة؟ قبل ثلاث أو أربع سنوات لم يكونوا يملكون شيئاً يذكر، كان ميرزا يملك دكاناً صغيراً يحتوي على إثنين أو ثلاث مدافئ ماركة علتء الدين وإثنين أو ثلاث جهاز راديو، وماكنة أو

إثنتان للخياطة، كيف بلغ به الحال هكذا؟ وكيف تضاعفت ثروته بهذه السرعة وفي هذه الفترة القصيرة، بحيث أصبحت أموالهم وممتلكاتهم لاتعد ولا تحصى".

وأرادت الثانية ان تكمل لها الحديث بعد أن نظرت يمنة ويسرة لتتأكد من عدم وجود أحد يتصنت عليهما وكان صوت الباص مساعداً لعدم وصول صوتهما الى الآخرين، ومع ذلك اقتربت من جارتها وهي تتصنع وتحرك شفيتها ثم قالت:

"أختي العزيزة، الله وحده يعلم ماذا ينسجون؟ وماذا يعملون خفية ولكن ما العمل؟ على الأقل ان زوجة الحاج إمراة رحيمة وتعطف علينا، على أي حال أنا أقول: ليهب الله الذين يساعدون غيرهم، فهذه الإمراة سخية الطبع وهبنا المال وهي تمنحه للمعوزين، وليست كزوجة أخي أفتاؤ..وتنهدت عميقاً وقالت:

— ذات مساء قلت للأولاد لنذهب الى بيت الخال، في الحقيقة جعلت الزيارة حجة، حيث كنت أمل أن يمنح أخي الأولاد بعضاً من المال، لأنك كما تعلمين منذ أن مرض زوجي وهو طريح الفراش وليس بإمكانه الخروج من البيت ومزاولة عمله. ومن باب الصدفة حين وصلنا عرفنا بأنهم بصدد إقامة وليمة خاصة، وما ان وقت علينا زوجة أخي علينا حتى عبس وجهها، وبرودة تعاملها معنا جعلتني أخجل من نفسي، مع وجود كل هذا كل اللحم والدجاج المكسد أمام الحنفية وتفرغ إثنتين لتصفية الرز من الشوائب وانشغال واحدة بتقشير البامية، مع كل هذا النعيم حين هممت بالخروج مستحبة أطفالي لم تكلف نفسها عناء قول كلمة واحدة تطلب منا البقاء للعشاء.

هذا ما رأيته يا صلحبيتي من اناس هم أقرب الناس الي، اذا أنا على حق حين أقول: ليوسع الله رزق آتة خان وميرزا على لأنهما على الأقل لاتبخلان بشيء على المعوزين.

\*\*\*

كان الركاب داخل الباص والذين كانوا في السيارات الصغيرة أيضاً منهمكين في الأحاديث مع بعضهم، منهم من يسرد مشاكلته مع أولاده، ومن النساء من تفرج عن همومها مع أهل زوجها، وأخرى تروي قصة العملية الجراحية التي أجريت لأحد أقربائها. فيما كانت واحدة أخرى تتحدث عن السوق والقماش والملابس الكردية الجميلة والذهب والمخشلات.

\* وصلت السيارات الى مدينة كركوك واصطفت أمام فندق المدينة الكبير، لأنهم كانوا قد اتفقوا مسبقاً على الوقوف في كركوك لتناول الغذاء واداء الصلاة ولاستمتاع بإستراحة قصيرة، لأنهم لايقفون ثانية في طريق بغداد كما هو الأتفاق.

وبدأ الصخب واللغظ بين الحاضرين، وكانت ثخشان ممتعضة من تصرفات الرجال وخاصة المراهين الذين كانوا يمرون أمام الفندق وقالت: كأنهم لم يروا النساء قبلاً، لاحظت منذ وصولنا ان أي واحد يمر هنا لابد أن يلتفت الينا، وفيهم من يريد ابتلاعنا بعينه.

سمع الحاج حديث ابنته وعلق قائلاً:

-أنا لألومهم يا بنيتي، كل هذه الجمهزة من النساء ينزلن من المنظر نظراً المارة، حتى أنا لو كنت مكانهم لفعلت ما يفعلون!.

لكن أخاه محمداً قال بصوت خفيض:

"كان العمل في الأساس لامعنى له". هز رأسه وأستمر في الحديث ليقول:

"كانت زوجة أخي تستطيع اقامة حفل عرس أو وليمة كبيرة تدعو اليها جميع الأقرباء والأحباب، دون اللجوء الى هذا التجمهر ورتل السيارات" واستطرد قائلاً:

- "أنا بتصوري حتى حسن نفسه ليس مسروراً بما نقوم به الآن، ولكن دعنا نصلي على النبي ونستسلم للواقع، ولا تهتموا بالأمر كثيراً" وأدلت شمسة خان زوجة محمد هي الأخرى بدلوها وقالت:

- "والله العظيم، أنا مندهشة مما أرى وخاصة من هذا الحشد الكبير". ونظرت الى زوجها لتقول:

"المهم كما قلت لتكن النتيجة خيراً.. ولنترك الحديث عن الموضوع".  
اما ابنها الشاب الذي كان قد تمارض ليحصل على الإجازة من إدارة مدرسته حتى لاتفتوته هذه السفرة، نظر الى أبيه وأمه والى أبنه عمه پخشان وقال:  
- ما هذا؟ هل حدث شيء؟ أنا واثق بأن كاكه حسن سيفرح كثيراً بهذا الإستقبال الحاشد وخاصة أنه غاب عنا منذ سنين طويلة.  
هز أبوه رأسه وقال:

- جاء دروك.. ولتكن دروسك مرمية وراء ظهرك وتغني وحدها عالوحدة ونص، وأنت في واد آخر.

فضحك الثلاثة على هذا التعليق الساخر.

وأنتهت فترة الغداء والراحة وعاد كل واحد منهم الى سيارته، وبدأ الموكب يتحرك من جديد.

وبعد برهة سلم شوان شريط كاسيت الى أبيه الذي كان جالساً في المقدمة بجانب السائق وقال له: أبي من فظلك ضع هذا الشريط في المسجل وأعد لي الشريط السابق.

أخذ الأب الشريط وقال له :

ماشاء الله عليك، استمعت الى نصائحي جيداً.

ضحك شوان خلسة وقال :

-بابا.. ماهي النصيحة التي اسديتها لي ولم أستمع إليها.

بينما كان الوالد يلبي طلب ابنه ويضع الشريط في المسجل أجابه :

-كنت أحدثك عن دروسك التي أهملتها وابدلتها بالأشرطة والتسجيلات،

ليست هنا بل أقصد في البيت.

قال شوان مخاطباً أباه :

-ما دخل الأغاني بالدروس؟ أنا بإمكانني أن أسمع الأغاني وأن أراجع

دروسي أيضاً.

قالت ثخشان ضاحكة وبشيء من السخرية:

-ما دخل هذه بالدروس؟ أو لم يحصل على درجات عالية من دون حسد.

هز الشاب رأسه ورد على تعليق ثخشان :

-ما لها درجاتي يا ست ثخشان؟ باستطاعتي لو علمت مثك أن أحصل

أعلى الدرجات عن طريق إقامة الولايم والعزائم للمدرسين وتقديم المأكولات

الشهية المشهورة اليهم، الثاظمة، وكفتة صابونكران وغيرها.

فضحكت ثخشان وشركتها زوجة عمها، ثم بدأوا بالتعليق على شوان، كيف

أن لسانه يسعفه لينقذه من أية ورطة، ولايهمه حتى لو اختلق الإتهامات

للآخرين مادامت فيه خلاصه كما فعل توأ في اتهامه ابنة عمه بشيء لم

تفعله أصلاً.

قبيل الغروب وصل موكبهم ضواحي بغداد. كان الفصل خريفاً والجو يميل

نحو البرودة، ولما كان النهار في مثل هذا الموسم قصيراً لذلك سرعان ما



أضيئت أنوار الضواحي وبدأت اللوحات الدعائية الموضوعة على الرصيف تبان، وكلما تقدمت السيارات كلما ظهرت أكثر بوضوح أشجار النخيل ومناظر الجوامع، ومرت لحظات حيث اختلطت سيارات المسافرين بسيارات الشوارع. وكانت الحوانيت ودكاكين البقالين، والقصابين، أضفت جمالاً وتنسيقاً على الشوارع.

وكان بعض المارة الذين كانوا قد نزلوا من سيارات الباص يعودون مشياً الى بيوتهم وبأيديهم أكياس الصمون والخبز والخضروات يحملونها لأهلهم وأطفالهم.

حين أبصرت آته خان هذه الفواكه والخضروات النظيفة الموضوعة بعناية في سلالها والأضواء المتألئة تلقى بشعاعها عليها واللحوم الطرية الشهية الموضوعة بعناية في واجهات دكاكين القصابين قالت آته خان وقد استغلت فرصة ابطاء سير السيارات:

"حين نعود بعناية الله سأشتري من هذا اللحم الطري"، وأضافت تقول: "اللحوم البغدادية طرية وناعمة، لاتحتاج الى جهد كبير ليستوي في القدر".  
واصلت حديثها قائلة: ذكروني لأشتري شيئاً من هذه الفواكه والخضروات النظيفة الجميلة وهذا التمر الشهى الذي يجذب النظر من بعيد ثم قالت: وهي تشير الى دكاكين الحلويات انظروا الى هذه البقلاوة الشهية وهذه الأنواع من الحلويات!.

بينما كانت هي تتحدث عن اللحوم، والفواكه، والخضروات، والحلويات كان زوجها الحاج ميرزا علي يفكر في هذه الورطة التي اوقعته زوجته فيها، "هل يحتمل ان يهجم كل هؤلاء الضيوف على فندق قريبننا أحمد؟" وهل المسألة بهذه البساطة التي ذكرتها زوجتي؟".

وقال في نفسه: "فوق كل هذا وذاك تنوي حضرتها إيقاف السيارات عند العودة لتشتري اللحم وغيرها.. ألا تدري بأننا سنصبح فرجة للشارع لأن جميع الركاب سينزلون وكل يقتدي بالآخر ليشتري ما اشتراه غيره". لذلك أراد إيقاف زوجته من الآن عند حدها وقال:

- أعتقد أننا كانت تنقصنا فقط هذه المهزلة! مهزلة النزول الى الشارع والتجمهر أمام الدكاكين، وهل تخلو السليمانية من الفواكه والخضروات الطازجة الجميلة؟ وكلكم تعرفون بان الأسطى عثمان القصاب بين كل فترة وأخرى يرسل لك - مخاطبا زوجته - نصف غنم كامل.

ردت آته خان على زوجها بابتسامة ساخرة:

- فدوة لقصابك المفضل الأسطى عثمان، الذي لايقدم الينا إلا العظم الذي يظل في القدر دون ان يستوي، وقد صارحته ذات مرة بذلك فقال: أنتم أهلي ومعارفي اذا كنتم تحاسبونني على هذا وذاك اذا كيف يعاملني الآخرون؟.

وطوال الطريق بين الوزيرية وشارع الرشيد حيث يقع الفندق الذي كانوا يقصدونه كانت المشادة الكلامية مستمرة بين الزوجين ثم دخلوا الفندق وأحدثوا هرجا ومرجا وكان أحمد حائراً يستقبل هذا ويجامل ذاك ويحاول إيجاد الغرف لهم. فيما كان بعض الأطفال يبكون وآخرون منهم كانوا قد ناموا في أحضان أمهاتهم، قال أحمد في نفسه: "لماذا لم تخابرنى ابنة عمي آته خان بالموعد لأحضر الفندق لمثل هذه المفاجأة وأحجز لهم الغرف الكافية".

ومع ذلك فقد استطاع تدبير الأمر وقدم لهم طعام العشاء ثم آوي كل واحد منهم الى حيث نام.

وفي صباح اليوم التالي وبعد ان تناول الجميع طعام الفطور، بعد ان كانوا قد شغلوا مغاسل ومرافق الفندق لفترة طويلة وازدحموا عليها وبعد أن

قضوا الجزء الأكبر من النهار توجها نحو المطار واصطفوا خارج السور وانظارهم مثبتة على مدخل المطار، وكانت آته خان قد أشترت كيسا من النقل والشكولاته لتنترها على ابنها حسن كما كانت قد اعطت قنينة ماء الورد لأحدى النساء لتعطر به القادمين، ولم تنس تكليف احدى النساء لترفع المصحف الشريف ليمر حسن وزوجته وابناه تحته.

وفجأة نادى آته خان ابنتها قائلة:

ثخشان حبيبتي، أرجوك تقدمي وأنظري، أو ليست هذه المرأة التي تدفع عربة أطفال أمامها زوجة حسن؟.

وضحكت ثخشان قائلة:

-ماما هل ضعف نظرك لاسمح الله؟ ألا ترين ان المرأة التي أشترت اليها سمراء وهي عراقية، أما زوجة حسن اسم الله عليها كأنها ثلج الجبال.. ألا تعلمين ذلك؟.

لامست آته خان عينيها بيدها وقالت بقليل من الوهن:

-ماذا أقول يا ابنتي.. أقسم لك بأن كل الذين يخرجون من البوابة الرئيسية يبدون أمامي كأنهم حسن وأولاده.

قالت ثخشان :

-أرجوك ماما اضبطي نفسك، لأنك اذا ظليت على هذا القلق سيتصورك حسن مريضة ولاشك بأنه سيتألم بدلاً من أن يفرح.

وكان الحاج ميرزا علي قد ارتدى حلة جديدة مصنوعة من القماش الانكليزي وعلى رأسه يشماغ جديد. ولكن القلق كان بادياً عليه هو الآخر، حيث كان يتحدث مع المحيطين به من الأهل. وكانت النسوة منهمكات بالحديث مع بعضهن، وعلقت احداهن بخبث:

"كم أنا تواقّة لرؤية عروسهم التي عملوا لأجلها كل هذه الضجّة، اتصور انها لو كانت واحدة من عندنا لأهملوها ولما عملوا لها ما يعملونه الآن للزوجة "الأجنبية" وقطعتها احداهن قاتلة:

- ويحك! إن ما تسمينه بالضجّة لايعملونها للعروسة بل للإبن الذي أمضى سنوات طويلة في الغربية دون ان يلتقوا به .

ومن خلال حوار بين النساء يفهم السامع أن حسن بحسبهن قد نال شهادة الدكتوراه في الهندسة، وقالت احداهن بحسد بالغ انه لم يفعل ما فعله ابن أختي (رحمة). لقد باعت المسكينة الدار التي كانوا يملكونها وسلمت ثمنه لإبنها ليسافر به الى بريطانيا على أمل الدراسة ولكنه عاد بخفي حنين، قضى جل وقته مع الفتيات، وكان يقضي كل يوم مع صديقه، وحين نفذت نقوده عمل في المطاعم وغسل المواعين والكنس.

وأنت تعرفين كم كان هنا مدلاً.. وأخيراً عاد كما قلت دون أي شيء.

وكانت آته خان تتخيل الطائرة وركبها وتختلط أفكارها وقالت في نفسها:

"اللهم.. يا من في ملكوت السماوات، سلمتك ابني أمانة.. فحافظ عليه. ثم تقول: الطائرة مخيفة.. تصوروا كل هؤلاء الركاب داخل هذه الحجرات المصنوعة من الصفيح وهي طائرة في السماء وتعبر المحيطات والبحار، والركاب "لاحول لهم ولاقوة".

لم يهدأ لها بال، وكانت الخواطر السود تعصف بها.. وتفكر بابنها وزوجته وأطفاله، وبشيء من الخوف نادى على زوجها الذي كان هو الآخر مرتبكاً

بسبب تأخر وصول الطائرة عن الموعد المقرر وقالت له:

-قل لأحد هؤلاء الشباب ليتصل بالفتاة التي جالسة بجانب الهاتف ليستفسر منها أسباب تأخير وصول الطائرة.

وحسب التعليمات توزعوا على المكاتب وهم يستفسرون عن موعد وصول الطائرة وعن أسباب تأخرها، وفيما هم كذلك وفجأة قال:

محمد شقيق الحاج على "ها هو حسن!".

وظهر حسن بهندامه وأناقته وهو يدفع عربة محملة بالحقائب وفوقها ولده الصغير، وحين أبصر أهله رفع يديه ملوحاً لهم وابتسامة مرتسمة على شفثيه.

وكانت تمشي وراءه امرأة شقراء رشيقة القد وعلى عينيها نظارة سوداء، كانت (جيني) زوجة حسن الأجنبية التي كانت هي الأخرى تدفع عربة محملة بعدد من الحقائب الصغيرة والكبيرة وبجانبتها طفلة لم تبلغ السابعة بعد.

بدأت دموع الفرخ تنزل من عيني آته خان وهي ترى ابنها متوجهاً نحوها وما هي إلا لحظات. حتى وقفزت العمة "حبيبة" على السياج واندست بين الركاب لتمطر حسن بالقبلات والأدعية، وقبل أن تصل بركاتها الى "جيني" حاصرهما إثنان من رجال أمن المطار وهزا ذراعيها قائلين: "ما تغلينه ممنوع..ممنوع". كاد ان يغمى على الحاج لخله من هذا الطيش الذي مارته حبيبة، كذلك آته خان تخدرت جراء هذا الحادث وكان الشباب قد وضعوا راحة أكفهم على أفواههم حتى لا يضحكوا.

وأخيراً تدخل عدد من الشباب في الأمر مؤيدين حبيبة وهازئين من رجال الأمن ماذا فعلت العمة حبيبة؟ ما هو وجه المنع في ذلك؟ لن نسمح لهم بذلك"، وقبل أن يهيموا بالذهاب الى الشعبة المختصة بقضايا الأمن قال لهم بعض المسنين: "لا تتركبوا حماقة تؤذيكم..لاتفعلوا شيئاً يقلب الأفراح الى الأحزان" وهكذا منعوهم من التدخل.

قالت امرأة حكيمة: لاتهتموا بالأمر ولا تضحوه..لم تكن تعرف "حبيبة"  
المسكينة ان ذلك ممنوع، المهم ان الجنود أطلقوا سراحها وهاهي قادمة.

وزوجة الخال التي كانت تستمع قالت ضاحكة:

"إن جنود ورجال الأمن حين وجدوا كل هذه السباحات في عنقها، ولاحظوا  
مظهرها ضحكوا عليها كثيرا وأخلوا سبيلها".

وفي هذه الإثناء وصل حسن الى حيث أمه التي هرعت اليه والى زوجته  
وأطفاله وهي تبكي، ثم العمّة والعلم والخالة والخال وأبناء وبنات الخال  
والأقرباء والجيران حاصروا الأسرة الصغيرة القادمة من الخارج والكل  
يرحبون، فيما كانت جيني مشدوهة مما تراه.

وكانت توزع الابتسامات على الجميع مع بضعة كلمات تنطق بها باللغة  
الكرديّة "شكراً.. كيف الحال؟.. " جئت أهلاً".

هذه الكلمات التي كانت قد عملها زوجها حسن في لندن، ولكنها لم تكن  
تعرف أين ومتى تستعملها؟. وبعد ذلك بدأ الموكب بالتحرك من جديد من  
المطار الى فندق أحمد، وكان أحمد هو الآخر ضمن المستقبلين.

كانت آته خان قد طوقت حسن وأسرته الصغيرة، تارة تقبل هذا وتارة  
تطبع قبلة على جبين ذاك. وحسن كان يداعب هذا ويقرص خد ذاك. وكان  
ينظر باستغراب الى قاماتهم، لأن بعضهم كانوا اطفالاً حين غادرهم حسن  
أما الآن فهم شباب يافعون، والى جانب ذلك كان يعرف أهله وأقرباءه  
بزوجته جيني وكانت العمّة "حبيبة" تروي قصة لبقاء القبض عليها  
وكيفية خلاصها وتقول للسامعين. قلت لهم بعربية مسكرة  
"مايخاف..مايخاف".

وضحكوا لكلامي ثم أخلوا سبيلي.

وكانت بعض النسوة يضحكن سراً على ما قالته حبيبة ثم وجه بعضهم أسئلة إليها ومشجعين ايها على إدامة حديثها، وحين أنهت كلامها، اقتربت مليحة ابنة عم آته خان وقالت:

- يا أبنة عمي، تعرفين بأننا نسينا نثر الحلوى والشوكولاته وتعطير القادمين، فانتفضت آته خان وضربت كفا بكف وقالت ملهوفة:

- والله تصدقين- لقد نسينا الأمر من شدة فرحتنا.

ثم همست قائلة:

-لقد انستنا العمة حبيبة سامحها الله كل شيء.

حين فهم الحاج فحوى حديثهما مرر أصابعه بلحيته وقال:

- شكراً للعمة حبيبة التي أنستك هذه الأمور، أعتقد أنه بعد كل هذه المظاهر كانت تنقصنا تلك.

ضحك حسن وقال:

-لم ذلك بابا؟ ان بعضاً من هذه العادات شائعة حتى في أوروبا وفي نفس مدينة لندن.

ثم هز يده وقال بنوع من الفرح:

أحياناً حين يزفون العروس يجمعون اللعب الفارغة والأشياء المهملة ويعلقونها بسيارة العروس، في الواقع لديهم عادات أصبحت مهملة حتى في قرانا النائبة.

ورد عليه أبوه باستغراب:

-مع كل هذا التقدم الذي وصل اليه الغربيون، هل يمارسون هذه الطقوس؟.

قال حسن:

أي والله، ان لهم عادات قد تحير الأنسان فعلاً، كالخرزة الزرقاء واليوم المشووم، ويوم السعد، وعين السود.

ضحكت أمه وقالت منشرحة:

حسن حبيبي هل مازال هناك شباب يقبلون الفتيات في الشارع كما حدث أن رأيته في لندن عند زيارتي اليكم. كيف رأينا شاباً قد التصق بشابته في محطة القطار ويتبادلان القبل أمام أنظار الجميع دون ان يباليوا بأحد.

ضحك حسن وقال:

-كيف أنسى؟، مازلت أذكرك حين أدت وجهك عنهما، وبدلاً من أن يخجلا، كنت أنت غارقة في الخجل وقلت باستحياء:

-ألم يحصل على مكان جنب أحد الحيطان أو زاوية، ولم يجدا إلا هذا المكان وبين كل هذا الحشد من الناس.

غمز الحاج لزوجته بعينيه منبهاً أياها ألا تكرر ذلك أمام كَنَّتْها لأنها من الجائز أن لاتحب سماعه.

ضحك حسن ثانية وقال:

أبي.. انها لاتعرف عماذا نتحدث ولاتفهم ما نقوله كأننا نحسب لها الجوز كما يقال عندنا في الأمثال.

وأنبرت آته خان تقول:

-ألم تكتب لنا بأن زوجتك وأطفالك تعلموا اللغة الكردية بطلاقة. واذا كانت كما تقول كيف أحادثها؟ على هذا منذ وصولها لم نسمعها تتكلم، وأنا أتصورها تعبة.

كعادته ضحك حسن وقال:



دعهم على هواهم سيتعلمون بالإختلاط، أنا كنت أتعب في النهار لذلك حينما كنت أعود في الليل لا أجد الوقت الكافي لتعليمهم.

مدت الوالدة يدها الى عنق ابنها وقبلته مراراً وقالت بفرح غامر:

– "أيها الملعون.. إذا لماذا كنت تكتب لنا انهم تعلموا الكردية".

قهقهه حسن من تعليق أمه وقال:

"كنت أريد إفراحمكم، والتخفيف من لومكم لي لأنني تزوجت من فتاة أجنبية".

هز الوالد رأسه وهو يقول:

– المسألة هيّنة ان شاء الله، وبعد فترة سيتحدثون بالكردية أحسن منا جميعاً. وتدخلت ثخشان بحرارة لتقول:

– أين ذهب أنا، سأعلمهم خير تعليم وأنا المستفيدة لأن جيني بالمقابل تعلمني الانكليزية وتقوي لغتي.

ومن جهة أخرى كانت بهية اخت آته خان وشمسه امرأة أخي زوجها تتحدثان عن جيني وبهية تقول:

– كُنْتنا رقيقة وجذابة جداً، ولو ألبسناها الزي الكردي سيرز جمالها أكثر وعلينا ان نقول: ماشاء وسبحان الله.

ونكزت خفية شمسه وقالت هامسة:

– ولكن هل تصدقين أنها أسلمت فعلاً، وان لم تكن كذلك علينا ان نحسبها في عداد من هم على غير ديننا – أي أنها غير مسلمة.

وأجابتها شمسه بيقين:

– لا.. يا أختاه، انها أسلمت منذ البداية وإلا كيف كان العم الحاج يرضى أن يتزوج ابنه واحدة غير مسلمة.

فردت عليها بهية:

صحيح - لقد اشترط ذلك لزواجها، تذكرين كيف أقام الدنيا هو وآته أختي ولم تقعداها حينما سمعنا بذلك في حينه.  
ضحكت شمسه وقالت بصوت خفيض:

-المهم.. اللهم اجعله خيراً، وليكن مقدمها مباركاً ان شاء الله.

ولكني بصراحة لا أستطيع أن أتَهجِي أسمها أو أحفظه، فقد أنساه  
"جيني.. جيني".

همت بهية بالقتراب رأسها منها قائلة بهمس:

-ويحك.. انه سهل، حاولي اذا نسيت اسمها أن تتذكري الجنيّة فحتمًا  
تذكرك باسمها.

وضحكتنا معا لهذا التعليق بحرارة.

وصل الموكب في الليلة التالية السليمانية، وتوجه كل أسرة الى بيتها،  
وخفت وطاة الزحام على بيت الحاج، حيث بقى أفراد الأسرة وحدهم.  
وبادروا فواً بنقل طفلي حسن اللذين كانا قد ناما داخل السيارة الى غرفتهما  
المهيئة لهما قبلاً.

كان بيت ميرزا على وآته خان يقع بعد محلة العقاري في فسحة سهلية  
مرتفعة قليلاً والدار مبينة على الطراز الحديث، وجاء التجديد بعد ان أصبح  
أكثر أصحاب البيوت يقلدون الآخرين فيهدمون دورهم القديمة وينتقلون الى  
أطراف المدينة ويبنون دوراً جديدة.

لم يكن حسن قد رأى هذا البيت قبلاً، لأنه حينما سافر الى لندن لمواصلة  
دراسته كانوا مازالوا يسكنون في بيتهم القديم في محلة "طويذة". وكانت

دارتهم الجديدة طابقين يحتويان على غرف عديدة مع حمامين شرقي وغربي.

وفي الطابق العلوي كانت هناك بلكونة تطل على الجبال وعلى المناظر الطبيعية الجميلة لكردستان والتي كانت تدخل البهجة والسرور الى قلوب الناظرين. هذا عدا ان باحة الدار كانت قد نظمت لحديقة جميلة منسقة زاهية مليئة بالزهور.

احترت جيني للحظة حين قادوها الى غرفتها وسرح خيالها، وقالت في نفسها:

-يا ترى هل أن هذا هو بيتهم ام أننا في فندق! .

وقطع حسن حيرتها وفاجأها بقوله:

-هلاو.. حبيبتي كيف وجدت الدا والغرف والأثاث؟ هل أعجبتك؟.

"جيني" التي كانت ماتزال آثار الإرتباك بادية عليها قالت بسرور:

-أعجبني جداً وأنا سعيدة بما أراه.

"غير أنها في الحقيقة كان خيالها قد ذهب بها بعيداً وكانت تقول في نفسها أخشى أن حسن حين يعاود حياته السابقة في مدينته.

ويزداد اختلاطه بأهله وأحبابه، أخشى ان يهملني أو ينساني وخاصة أن شريعتهم تسمح لهم بأن يتزوجوا أربع نساء" ولكنها مع ذلك قالت لزوجها:

-هل هذه دار اعتيادية أم انها قصر منيف، في الحقيقة لم أكن أتصور أن بلدكم يكون بهذا الجمال كما لم يخطر ببالي بأننا نسكن هذه الفيلا الفخمة.

ضحك حسن وقال:

وكيف كنت تفكرين؟ وهل كنت تتصورين كبعض الناس من بني قومك أننا

نعيش في الصحراء ونركب الجمال ونمشي حفاة.

واستطرد قائلاً وهو يضحك:

ان هؤلاء هم عرب لبصشاري، عرب البادية، الذين لم يبقوا الآن كما كانوا في السابق، اعتقد بأنهم تطوروا أيضاً.. بيد أننا "كرد" كما شرحت لك مراراً وان بلدنا جميل، الآن ونحن في الليل ولكنك غداً ستتمتعين بجمال المدينة ومناظرها الخلابة.

كانت جيني تنظر يمناً ويسرى، لم تكن تصدق نفسها وهي التي اعتادت العيش في بريطانيا في دار متواضعة صغيرة كانت بالنسبة الى هذه الدار اشبه بلعبة الشخاط، والان تجد نفسها في هذه الدار الكبيرة مندهشة لم تكت تدري كيف تعبر عن شعورها ولكنها مع ذلك فقد كانت في قرارة نفسها منشغلة بشيء آخر.

"أتصور كل هؤلاء الأقارب المحيطين بحسن سيجلونه ينساني أو يمل مني، ها أنا قد رأيتهم في يومنا الأول كيف أنهم جميعا يحيطون به وهو فرح بوجوده بينهم، خلال هذين اليومين لم يحاثنني بشيء سوى جمل عابرة أو تعليقات خاطفة، لنرى ماذا يخبئ لنا المستقبل؟.

لننتظر! لماذا تراودني هذه الأفكار؟ ألم أجد أباه وأمه وأهله والقاربه كيف يدارونني! وكم يحبونني ويعلنون معرتهم لي، لأكن صريحة منذ أن وطئت قدماي أرض المطار وأطفالي ينتقلون من حضن الى آخر، وخاصة شقيقته ثخشان انها تكاد تطير فرحة بوجودهم وبين كل لحظة وأخرى تبدي استعدادها لمعاونتي، في الحقيقة ان قلبي يميل اليها وأعتبر نفسي محظوظة لأنها تتقن الانكليزية أيضاً.

كانت جيني غارقة في هذه الخيالات حين وصلت اليها ثخشان بهدوء خشية من إيقاظ الأطفال الذين كانوا نياما وقالت لها بانكليزية:

-جيني حبيبتي أرجوا أن تنزلي الى الصالة الكل بانتظارك، وأخذت بيدها ثم نزلتا معا.

كانت المائدة مهياً والأكلة الموضوعه عليها اليوم كانت "الكفتة" التي تسمى في السليمانية بكفتة صابونكران نسبة الى المحلة المتخصصة بهذا النوع من الكفتة وكان حجم الواحدة منها يقارب حجم كرة صغيرة للأطفال. وكان حسن يحب الكفتة التي كانت محاطة بالطرشي واللبن والسلطة وكانت الخالة آفتاو ملكفة اليوم باعداد الكفتة.

وجلست جيني بين حماتها وبين ثخشان شقيقة زوجها.

حين بوشر بتناول الطعام مدت الحماة يدها لتأخذ كفتة من الحجم الكبير الكبير ووضعتها في اناء جيني، فيما تناول حموها قطعة كبيرة من اللحم وطلب من زوجته ان تضعها في اناء جيني، وحين نظرت جيني الى اناؤها المليان بهذه الأكلة الثقيلة تنهدت وهي مندهشة كيف يمكنها تناول كل ماهو موضوع في اناؤها الخاص، وقالت في نفسها نفسها انها تكفييني لمدة اسبوع اذا ما العمل وها هي العيون مثبتة على؟.

شجعتها حماتها على الأكل وطلبت من ابنتها ان تصب لها سوب السلق في اناء آخر.

رغم محاولتها لم تستطع جيني ان تكمل تناول حتى نصف الكفتة التي أمامها واستنجدت بحسن وهي تنظر اليه لعله يخفف عليها هذا الإجبار على الأكل، غير ان حسن لم يكن منتبهاً اليها بل كان قد استغنى عن الشوكة والسكين، وكان الكفتة واللحم بشراهة. وحين وضع أبوه كفته أخرى في اناؤه قال حسن: -هذه تشبه "الكيبة"، والكيبة تصنع من كرش الحيوان ومحشية بالرز، قال هذا الزوجته.

واثناء تناول الطعام دعاهم عمه وزوجة عمه الى تناول العشاء بعد غد في بيتهم وتكون الأكلة هي الكيبة و الناضة.

وفجأة انتبهت آته خان الى كنتها جيبي وقالت:

ويحي، ان عروستنا لم تتناول شيئاً، وجاءت لها ياناء نظيف ووضعت فيه كفتة من الحجم الكبير وهي تقول:

جينة حبيبي كلي.. وأحياناً بالعربية تقول لها: كلي، ناسية انها لاتعرف العربية وجرت بينها وبين نخشان حوار حول العربية التي كانت آته خان تخاطب بها كنتها وضحكت لذلك. كما ضحك الحاضرون أيضاً، وشرح حسن لزوجته الموضوع الذي أثار ضحكاتهم فضحكت جيبي أيضاً وانتزعتها فرصة لتأذن من الحاضرين وتنسحب الى غرفتها الى حيث اغتسلت ونامت.

وأستغل حسن فرصة عدم وجود جيبي بدأ يشرح لوالدته عن أعتياد الأجانب على الوجبات الخفيفة وانها تفضل قطعة من البد مع رغيف خبز على كل هذه الأكلات فسارع أبوه حسن ليسأل زوجته: هل لدينا زبدة؟ اذا لم تكن موجودة فابعثي غداً باكراً من يشتري لنا الزبدة.

\*\*\*

جيبي إمراء عاقلة وهادئة وتربت في أسرة، كانت والدتها حريصة عليها ولم تسمح لها بأن تنطلق على هواها، كان أبوها قد توفي قبل زواجها من حسن بسنتين ولم تبق في البيت سوى أمها وأختها التي كانت تكبرها وكانت متزوجة ولها طفلان. وكان حسن محظوظاً حيث صادق فتاة بهذه المواصفات، لم تكن على شاكلة صديقات أصدقائه والتي كانت بينهن محتالات كن يحاولن بشتى الوسائل أن يحملن من أصدقائهن ليحبرنهم

على الزواج وبعد الزواج كانت تبدأ مشاكل لاحصر لها بالنسبة لبعضهن والبعض الآخر منهن.

ارتضين بما قدر لهن وكن قد تكيفين مع وضعهن العائلي.

وكانت هناك فتيات يحاولن اجبار أصدقائهن على الصرف وعلى البذخ وبعد ان يتأكدن من أنهم على هاوية الإفلاس كن يتركنهم ليرمين الشباك على صيد آخر.

\* وكان حسن جاراً لأسرة جيني حيث كانت أم جيني تراعيه وأحياناً ترتب له بيته وتغسل ملابسه مقابل أجر زهيد وكانت جيني تعمل في أحد المخازن حيث تعرفت على حسن الذي أعجب بالفتاة وبأخلاقها وخفة دمها، وبعد فترة اتفقا على الزواج وثم تزوجها ولكنه في البداية لم يستطع إخبار أبويه بزواجه لأنه كان واثقا بأنهما لا يحبذان زواجه من أجنبية فضلاً عن أنهما كانا قد وضعا أعينهما على عدة فتيات لتكون واحدة منهن من نصيب حسن وحين اضطر الى إخبارهما بزواجه غضبا منه غضبا شديداً، وحتى انهما كتبا اليه معاتبين "هل ذهبت للدراسة ام للزواج؟"، وأستمر الخلاف عبر الرسائل الى ان انجبا ابنهما البكر وحين تسلمت آته خان صورة حفيدها أجهشت بالبكاء وثم بدأت تطبع القبلات على وجه الصورة. وبعد كتبا الى ابنهما حسن رسالة باركا فيها لهما مولودهما وانتهت المعارضة! ولكنهما أشتربا على حسن ان تغير زوجته دينها وتعلن إسلامها. وفي رسالته الجوابية طمأنهما حسن ان زوجته أشهرت إسلامها في الجامع وهكذا طويت صفحة الخلاف.

\*\*\*

مع ان آته خان تعبته إلا انها كانت فرحة بعودة ابنها وكانت تخطط لما يجب عمله غدا لابنها وزوجته وقد سرح بها خيالها الى الأيام القادمة أيضاً وماهو المطلوب منها عمله لتدخل الفرخ في قلوب أحبابها العائدين.. وظلت على هذه الحال حتى غلبها النعاس ونامت. ولم تمر لحظات حتى وانتفضت لدى سماعها صوت بكاء حفيدها فذهبت على عجل الى باب غرفة ابنها وزوجته وسألت عن الأمر، فطلب منها ابنها الدخول، وحين دخلت وجدت جيني وقد أحتضنت ابنها وهو يبكي باستمرار، وبدأت آته خان بالدعاء وقراءة الآيات القرآنية على الحفيد وهي تقول:

-لتطلع روعي يا آلان! لم هذا البكاء؟ وحينما كانت تقرب منه كان الطفل يصرخ ويلتصق أكثر بأمه وهو يتمم بكلمات أنكليزية غير مفهومة وكانت آته خان حائرة لاتدري ماذا تفعل وتسأل ابنها لم يبكي بهذا الشكل؟ أخشى ان يكون بتأثير تغيير المكان.

فقال حسن: لا.. يا أماه.. ان المؤذن فجأة وعلى حين غرة بدأ يؤذن عبر مكبرة الصوت فأيقظ الطفل وبدأ يصرح.

رغم ان آته خان أ رادت في البدايةطمأنة الطفل بأنه لا يوجد شيء مخيف وهذا أذان الفجر إلا ان ذلك لم يمنعها من القول:

"ان الطفل على حق. هل ضروري أن تكون الأذان عبر مكبرات الصوت وبهذا الشكل المزعج اقلق راحة الأطفال، لست أدري هل كان هناك مايكروفون في زمن النبي محمد "ص"؟ في لحظة واحدة عشرات المآذن تبدأ ببث الأذان وعبر مكبرات الصوت وفي هذا الوقت الباكر، قديما كان الناس يعتمدون على ساعاتهم وفي الموعد المحدد يستيقظون ويذهبون الى الجوامع



يُؤدون صلاة الصبح ويعودون دون ان يزعجوا أحدا هل ان هذه الأصوات التي تملأ المدينة صخباً ضرورية للصلاة؟  
وفوق كل هذا الضيم ان مؤذن جامعنا يملك صوتا أجش لايسر السامع.  
وقبل أن تنهي آته خان تعليقاتها أنهى المؤذن الأذان أيضاً.  
وقال حسن متثائباً: اذهبي أماه الى النوم، لعل الطفل يتعود على الأذان.  
فأجابته أمه: لا يا أبني عليّ أولاً أو عدي صلاة الفجر.

\*\*\*

ومنذ صباح اليوم التالي بدأ جرس باب ميرزا على يرن، الأقرباء والمعارف قادمون للسلام على حسن وزوجته. وكان حسن قد ارتدى ملابسه وجلس بينهم للترحيب بهم. حسن كان كردياً اصيلاً لم تغيره السنوات التي قضاها في انكلترا.

كان مايزال يحاب الأكلات الكردية، يشرب الشاي في الاستكانة، لا يستحم إلا بليفة المدينة. وكان قد أوصى أباه بتهيئة الملابس الكردية والكالة الهورامية وفي البيت كان يحب السماور وابريق الشاي وسجادة الصلاة.  
انه يتذكركم كان يحب المشمش والكشمش مع التمن الكردي أيام العيد، كم كان تواقاً في الغربة للعودة الى دياره، حتى صار ذلك مثار تعليقات أصدقائه الذين كانوا يعيبون عليه ذلك وحيثما كانوا يزورونه يقولون:  
نذهب الى سرشقام وملكندي ودرطزين "محلات السليمانية".  
وحسن يرد على سخريتهم بقولة:

لاشك أنكم تريدوني أن أكون مثلكم، ما ان وصلت انكلترا حتى تغيرتم تماما ويعجبكم ان تستعملوا الكلمات الانكليزية في مفردات أحاديثكم رغم الجهد التي تبذلونه في ذلك والتجائكم الى ..ام ..ام ..ام.....

وما ان تقترب أعياد الميلاذ، وحتى تنهمكون كأبي فرد بريطاني للتهيو  
لاستقبال العيد، أما أعيادنا فليس لكم أدنى علم بقدموها.  
من العار أن ينسى الإنسان أصله ونسبه وتراثه وقومه، وهكذا تروني  
مرتبطاً بوطني أرتباطاً وثيقاً.

وكان ردهم الساخر الى حد ما مصيبا حيث كانوا يقولون له:  
"أجل، ان السيد حسن لاتغير مطلقا ألا ترون ان زوجته من محلة  
صابونكران في السليمانية او ليست تتحدث الكوردية هي وأولادها بطلاقة".  
ثم يضحك الجميع، ويرد حسن عليهم بابتسامة قائلاً:  
- ما يخص زوجتي أنتم على حق، لست وحدي في هذا الأمر فالكثيرون  
مثلي انبهروا بما رأوه، وأنا أيضاً وقبل ان أفكر جيداً أحببت وتزوجت،  
والآن ما ذنبها وما ذنب أطفالنا لأتخلى عنها وأنتم لاشك تعرفون أهل  
زوجتي وتعرفون أيضاً كم كانوا طيبين معي.

\*\*\*

وفي اليوم الثالث من عودة حسن كلنت أسرته مع عدد من الأقباء المقربين  
مدعوين لتناول الغذاء في بيت عمه وحسب غلاتفاق كانت الثاضة الكردية  
هي التي ستتصدر المائدة مرة أخرى، وهذه الاكلة معروفة بأنها ذات رائحة  
زكية معطرة بحيث يمكن شمها حتى أمام الباب الرئيسي للدار. وكان العم  
حريصاً على ان تكون الأكلة جيدة وزائدة عن الحاجة وبين فترة وأخرى  
كان يذهب الى المطبخ للتأكد من ان كل شيء على ما يرام، وكان هناك  
جدر على الموقد يغلي وفيه رأس الغنم واللسان وغيرهما، فيما كانت  
النسوة يخيطن وصلات الكرش بعد ان يملأنه بالرز.  
وبين فينة وأخرى يقول العم لزوجته:

"أخشى أن يكون الأكل قليلا لا يكفي بالحاجة.

وزوجته ترد عليه ان لم تبتعد فسوف أمزق قميصي حنقة على تدخلاتك رغم ان العم محمد ابتعد عن المطبخ إلا انه كان مازال قلقاً.

بدأ الضيوف يتقاطرون وبدأت التحيات والتعليقات والترحيب بالضيوف رغم ان جيني كانت قد تزينت وارتدت ملابس جميلة وتوزع الابتسامات وتتلفظ بكلمات شكراً وكيف حالك وجئتم بالخير باللغة الكردية الا أن مسحة من الحزن كانت تكسو وجهها، لأنها على العموم كانت كالأبكم ولم تكن تدري عماذا يتحدثون وحين كانت احدى النسوة تتلفظ أسم حسن كانت تهز رأسها باسمه كأنها تريد ان تقول: فهمت بأنكما تتحدثان عنا ولكنها كانت متأكدة بأن أحدا لا يتحدث عنها أو عن زوجها بسوء على الأقل في وجود آته خان والدة حسن.

وكانت سوزان ابنة حسن متعلقة بعمتها ثخشان التي كانت تجيد الانكليزية وتتحدث معها وكانت سوزان لاتفارقها حيث ترافقها أينما ذهبت فيما كانت نساء الأسرة يطلبن من ثخشان ان تترجم لهن ما يردن الحديث به مع سوزان أو مع أمها. وكانت أسئلة بعضهم غير مقبولة مثلاً:

-أسأليها هنا أجمل أم لندن؟ أسأليها هل تحب جدتها؟ أكثر أم جدتها؟.

أما جيني فكانت قد نمت طفلها في الغرافة لذلك كانت مضطرة ان تزوره وتتفقد حاله بين فترة واخرى وأحياناً كانت تجلس على حافة السرير الذي كان الطفل قد نام عليه ويبدأ خيالها يسرح بعيداً.

"لست أدري، لماذا على دائماً أن أفكر بمصيري ومستقبلي، يا تُرى هل بإمكانني أن أوصل المشوار؟ والظاهر أن حسن بدأ يخطط لمزاولة الأعمال

الحرّة التي تتطلب منه السفر وهذا يعني غيابه عني، ولأعرف ماذا يمكنني أن أعمل وحدي وسط جمع لا يعرفون لغتي.

ومفاجأة اليوم لم تكن سارة حين قدم حسن إلى فتاة تدعي "طولآة" قال انها ابنة خاله ولم تكن في المدينة حتى تأتي مع الأهل الى بغداد لاستقبالنا، وقد رأيتهما منسجمين تمام الإنسجام.

والحق يقال ان الفتاة جذابة بحيث كان حسن مهتماً بها".

وتذكرت كيف كانت متشوقة للتعرف على أهل حسن، فيما بدأت أيام طفولتها وصباها تمر أمام ناظرها كشريط سينمائي، جيني الصغيرة كانت تبجع الصحف وتوزعها على البيوت منذ أن كانت في الثامنة من عمرها وكان الأب يعمل في أحد المصانع والأم هي الأخرى تعمل، أما هي فكانت مع أختها بحيث لاتعودان إلا في الليل، وفي أيام العطل وبدلاً من أن يستمتعوا بها كان الأب يثمل ثم يتشاجر مع زوجته ويصل الشجار الى حد التضارب بالأحذية بينهما، وكان ذلك يسبب ألماً كبيراً لها ولأختها. وكان الأب معتاداً على السكر حيث كان يجلب معه قنينة من المشروب الذي كان يتناول كل ليلة وفي صباح اليوم التالي يذهب الى عمله ناسياً كل ما حدث في الليل.

وكانت الأم حريصة على العمل حتى تؤمن لأبنتيها الملابس والضرورات لأن المعونة المخصصة من الدولة للأطفال لم تكن كافية، وتذكرت جيني الليالي التي كانت تعود فيها مع أختها وهما تمران أمام الكنيسة المقفرة العتيقة وكان الخوف يداهما رغم أن الطريق لم يكن خالياً وكثيراً ما كانت الطالبات أمثالهن يعدن من نفس الوقت، ومازالت لحد الآن تتذكر اليوم الذي مرضت فيه أختها وأضطرت أن تذهب وحدها الى المدرسة، وحين

عودتها فوجئت برجل سكران برز لها من بين زوايا الكنيسة وشرع في الهجوم عليها ومن حسن حظها ان رجلاً كان راكباً دراجته، يمر هناك، وما ان سمع صرختها حتى بادر لنجدتها وخلصها من الذئب المفترس ولم يكتف بذلك بل سلمه الى الشرطة أيضاً، وما زالت جيني تتذكر منظر ذلك الرجل المقرز ذا الرائحة العفنة. وفجأة انتفضت جيني حين سمعت صفقة أحد الأبواب وقالت في نفسها: "جيني لاتكوني ناكرة للجميل، حسن شاب طيب ومخلص ويجب ان يكون مجاملاً مع الجميع، وانت تعرفين خصاله هذه". ودخلت ثخشان وسوزان الغرفة حيث خاطبتها ثخشان:

-الظاهر ان "الآن" مازال نائماً، لننتظر برهة أخرى.

ولكن جيني ردت عليها بلطف قائلة:

-لاعليه شيء، ليبقى نائماً سأحملة في حضني.

فيما كانت الأسرة على مائدة الافطار، داهمتها العمة حبيبة الجارة ومعها اثنان من الأقرباء، كما حضرت الابنة التي كانت تعمل في بيت الخال لتخبر الجميع بأنهم غداً مدعوون الى بيت الخال ولكن حسن اعتذر قائلاً بأنه لن يكون معهم في هذه الدعوة لأنه سيذهب مع عمه غداً الى بغداد، وأضاف مازحاً:

لقد أصبنا بالتخمة من كثرة تناولنا هذه الأطعمة الثقيلة الدسمة وبالمناسبة أرجو أمي العزيزة ان تخفف علينا ذلك وتوءكلنا اليوم حساء البريين مثلاً. فقالت أمه: على الرأس والعين: ولكنك يا أبني لاتعرف كم كنت أتعذب حين أتناول هذه المأكولات اللذيذة في سنوات غيابك عنا، كنت أتحسر لأنك محروم منها !.

وقال حسن: ماما كل شيء متوفر في لندن، تصوري ان هناك منطقة يسكنها الهنود تدعي "ساوث هول"، تجددين فيها كل ما هو موجود في أسواقنا وخاصة لدى العطارين والبقالين.

الرز بأنواعه، البامية الناعمة، العدس، الحمص، كل ما تشتهي النفس تجدينها في لندن وتصوري ان أصحابي كانوا يسمون بيتي بأسماء محلات السليمانية لكثرة ما كنا نتناول الأكلات الكردية فيه، أي كأنهم في السليمانية.

وهنا تدخل الوالد قائلاً: المهم لقد عدت الينا وأزحت عنا هموم الدنيا لأن امك أحياناً كانت تريد أن تمنع عنا حتى الحمام ظناً منها انك الآن لا تحصل على حمام دافئ في ذلك البلد.

وكانت العمّة حبيبة تقرأ الأوراد وتنفخ حولها وأحياناً ترفع صوتها بالصلاة والتسبيح وتدعو له بالتوفيق.

\*\*\*

وفي الليل حين اختلى الزوجان في غرفتهما قال حسن لزوجته بدلال:

- يا عسلي، هلا تحضرين لي حقيبة السفر؟.

- وهل نويت على السفر فعلاً، وأنت تعلم بأنه لم يمضى على وصولنا سوى عشرة أيام.

- لأريد المناقشة وأرجو ألا تواصلني استجابي؟.

قالت "جيني" بشيء من الاستضعاف:

- كم ستطول غيبتك؟.

- عملي هو الذي سيحدد الفترة.

- ولكنني أبقى وحيدة، حيث تذهب ثخشان الى المدرسة.

سبق وأن أجبته عن هذه التساؤلات حين كنا في لندن، بإمكانك العناية بأطفالك، وثم لاتنسي ان أمي ستكون معك حتى عودة ثخشان ويفترض ان تتكفي مع حياتك الجديدة.

قال حسن ذلك واندس تحت اللحاف ثم استطرد قائلاً:

- وقد وعدتني "طولآلة" أن تزورك بين فينة وأخرى وهي كما تعلمين تجيد الانكليزية.

حين سمعت جيني اسم "طولآلة" شعرت بأنها تلقت صدمة، ولكنها فكرت في نفسها "طولآلة" لها مكانه متميزة عند الأسرة، وعلاقات العائلين وقرباتها متينة جداً، وتذكرت ضحكاتها يوم أن تلاقيا.

ومع ذلك لم تستطع أن تضبط نفسها وقالت:

- لأعتقد بأن هذه الفتاة تحسن التحدث بالانكليزية، لأنني لاحظت ثخشان حين خرجنا قبل أيام معا هي التي تصحح لها وتكمل ما تريده هي.

رفع حسن الغطاء قليلاً وقال:

- المهم انها تعرف الانكليزية، أو ليس جيداً أن تعرف هذا القليل من الانكليزية التي تعلمتها في المدرسة، لو لم تكن تعرف هذا اليسير هل كان بيدنا شيء.

قالت جيني:

-أعتقد ان الفتاة تهكم

انتقض حسن من مكانه وأزاح الغطاء ثانية ليقول:

-هل تتحدثين عن "طولآلة"؟

ولما شعر بأن جيني خفضت رأسها ولاترد أستمر في كلامه:

-أرجو ان تعلمي بأنني أحب "طولآلة" وأمها وأباها أكثر من جميع أقربائي. ولأريد أن أسمع مرة أخرى الخوض في هذا الأمر، وثمة أمر آخر أود أن تفكري به، هو أن فتياتنا ليست مثل فتياتكم المتحررات، هنا لو ضحكت فتاة مع رجل غريب ستصبح سمعتها مضغفة في الأفواه، وأعتقد

أنا تحدثنا في لندن عن هذه الأمور وفضلاً عن هذه التقاليد العامة، "طولاة" هي شابة نموذجية متحرمة لدى جميع الأهل والأقارب، لذلك أنبهك ألا تلفظي بسوء اسم "طولاة" مرة أخرى. سكتت "جيني" على مضض، ولكن أفكارها ظلت سارحة.

\*\*\*

وفي صباح اليوم التالي قبل حسن جيني وهي ودعته بقبلة فيما كان حسن يطمئنها ويطيب خاطرهما، وحين ودعه أبواه طماناه الا يبقى فكره عند جيني وأطفالها فهم في الحظ والصون والرعاية التامة. وقالت له أمه:

اذهب في عناية الله ولا يبقى بالك مشغولاً بالحببية "جينة" وطفليها أعاهدك باني سأخذهما الى أجمل الأماكن الى أن تعود بالسلامة.

-أمي العزيزة، لست قلقاً عليهم، لأنني واثق بانهم لم يتمتعوا بالحياة أبداً كما هم الآن. وفيما كان حسن يخرج من الدار دخلت اليها بهية خان كانت قد أرتدت السواد وكانت قد أخفت مخشلاتها تحت الحجاب وكان مجيئها بسبب اتفاقها مع آته خان لتخرجاً معاً وتذهباً الى احدى مجالس النساء للتعزية. وقبيل زهاب الأختين بدأت آته خان تتحدث لأختها بهية عن سفر حسن الى بغداد والخالة تدعو له بالسلامة. وحين همت آته خان بالخروج تذكرت بأن جيني تبقى وحدها في البيت فأقترحت أختها ان ترسل شخصاً الى العمه حببية لتأتي وتبقى بصحبة جيني ولكن آته خان رفضت الاقتراح قائلة:

أخشى ان جيني وطفليها يخافون منها.

فضحكته لهذا التفسير، وقالت الخالة: كانت العمه مليحة وابنتها "سرطول" جيدتين لمثل هذه الأحوال ولكنهما ذهبتا الى بيت ابنها حيث



كنتها على وشك الولادة. وكانت آته خان قد بدلت ملابسها بما يلائم مثل هذه المناسبات وعلقت بصوت واضح "النساء اللواتي يتزينن بالمخشلات حين يذهبن الى التعزية لايعرفن الأصول وأن بعضهن ينسبن انهن ذاهبات الى المأتم".

ودخلت غرفة جيني لتخبرها بذهابها فقامت جيني كما علمها زوجها احتراماً لحمايتها، رغم أنه لم تكن هناك لغة مشتركة بينهما الا ان الكنة عرفت بأن حمايتها ستخرج لأمر ما وأنها جاءت لتطمئن عليها وردت غلى ملاطفاتها ب"أوكي..أوكي". وقبل انهاء حديثهما حثتها أختها على الاستعجال ولكنها عادت والتفتت الى جيني وبإشارات مبهمه أفهمتها بأنهما ذاهبتان الى مكان فيه بكاء وانهما ستعودان بعد ساعة واحدة، وفي تلك اللحظة وصلت مليحة بنت عم آته خان لتبقى في البيت مع "جيني" وطفليها.

وحين همت الشقيقتان بالخروج قالت آته خان ضاحكة:

"أوه يا حسن، يا ولدي العزيز، ألم يكن خير لنا ولها لو كنت قد تزوجت بفتاة كردية نفهمها وتفهمنا، لا أن تهز رأسها وتقول: "أوكي..أوكي"

\*\*\*

مضى أسبوع على سفر حسن خلاله كانت آته خان قد خرجت مع جيني وطفليها الى التنزه مراراً، ورغم ان الجو الخريفي كان قد بدأ يميل نحو البرودة الا انها أخذتهم الى مصيف سرجنار وكذلك الى قلياسان مع جدور الدولمة والعروك واللحم بالعجينة والسماور والكتلي وكانت تقول:

—انها غربة، علينا ان نترمها كثيراً، هي كنتي وبمثابة ابنتي بعيدة عن أهلها ولاتعرف لغلتنا، علينا مراعاتها على احسن وجه.

\*كانت جيني قد بدأت بالتعود على حياتها الجديدة وتشعر بمعزتها لدى أهل حسن، رغم ان ثخشان كانت تقوم بالترجمة حسب بمقدرتها ولكنها أحياناً كانت تقول في نفسها:

-أخشى ان يؤثر عملي هذا كترجمة على دروسي ولأستطيع العبور الى صف أعلى صف أعلى هذه السنة.

وأحياناً كانت تتذمر من كثرة أسئلة الأهل والأقارب الذين كانوا يريدون ترجمة كل كبيرة وصغيرة مما يتحدثها القادمون الجدد والزوار. وفي أحيان أخرى كانت النسوة يتأففن ويقولن:

-هنا في مدينتنا كل هذه الفتيات الجميلات، لماذا لم يختر حسن واحدة منهن وتزوج من أجنبية لانفهمها ولاتفهمنا. وتقول واحدة أخرى:

حين يصل أبناءنا الى تلك البلاد ويرون كل هذه الفتيات الحساناوات الأنينات المتحررات ينبهرون بهن وتتوطد علاقاتهم بهن. فهذا هو أبن أسطة خضر الذي كان قد ذهب هو الآخر للدراسة ويقال بأنه تزوج من فتاة ثرية يعيش في كنفها وهي التي تصرف عليه. ويقال بأنهما عاشا معاً كرفيقين دون زواج لمدة سنتين الى ان ولدت المرأة طفلاً فأضطر الشاب ان يعقد عليها، واستطردت المتحدثة تقول:

حين عاد ابن شقيقي شيرزاد روى لي تفاصيل هذه المسألة وحتى أنه قال: طالما تهجمت على ابن أسطة خضر وطلبت منه أن يتزوج فتاته التي يعفاته التي يعيش معها، ولكن وبحسب رواية شيرزاد ان الولد كان يقول: لأتزوجها- بل سأقضي معها الوقت حتى أكمل دراستي وانبرت امرأة ناضجة لنقول: وهل في هذا رجولة؟ لماذا كان يقضي معها الوقت ويعاشرها وثم لا يريد أن يتزوجها؟.

وقالت واحدة أخرى: إذا المرأة حتى هناك مغدورة ومهضومة الحقوق كنت أتصور بأن المرأة الكردية وحدها مظلومة وانها تعاني من سطوة الرجل الذي يأمرها بانجاز ما يطلبه منها، وهي تتعب وتكدو وتربي الأطفال وتدير شؤون البيت وزوجها السيد يتربح على عرشه دون أن يبالي بحقوق زوجته.

وقالت امرأة بين الخاضرات، المرأة تشعر بهذا الظلم ويقسوة الرجل ولكنها في مثل هذه الحالات تصبر وتواصل الإستمرار في حياتها الزوجية التسعة وذلك لأجل أطفالها حتى لايشتردوا، رغم انها تذرف الدموع السخية في الخفاء ولاتنعم بلذة الحياة.

وتدخلت امرأة أخرى في المناقشة وقالت:

- كل ما ذكرتن صحيح ولكن دائماً هناك العكس، فهناك نساء لسن بمثل هذه التضحيات، فبينهن من تتزوج ثانية بعد طلاقها أو ترملها ولاتحسب أي حساب لأطفالها الذين يتشردون ويتوزعون على بيوت الأقرباء.

ثم جرى الحديث عن الرجال الذين هم أيضاً في مستويات مختلفة فبينهم من تزوغ عيناه بحثاً عن المرأة ويخون زوجة. ولكن إحداهن أرادت أن تربط المسألة كلها بزواج حسن وقالت:

- باعقادي ان الشباب الذين يسافرون الى الخارج عليهم الا يستسلموا للمغريات ولايتزوجون من الأجنيات. وأنا أرى أن يتزوجوا قبل سفرهم لترافقهم زوجاتهم في سفرهم والعيش معهم في الغربية.

عقلت واحدة أخرى:

- وهل تستطيع العوائل تأمين معيشة أبنها وزوجته وثم أطفاله فيما بعد اذ ليست كلها ذات إمكانيات مالية جيدة. وخاصة انتين تعرفن مطالب فتيات

اليوم من الذهب والمخشلات التي تؤدي الى خراب بيوت أهل الفتى،  
وبالعكس فالزواج في الخارج لا يكلف الشباب شيئاً والفتاة ترضى بمشاركتها  
لزوجها قي حياتهما البسيطة.

\*\*\*

مضت ستة أشهر على عودة حسن وزوجته، وكان قد أغرق حسن نفسه  
بالأعمال الحرة والتجارة ناسياً تخصصه الأصلي، فيما بدأت آته خان تغمز  
من قناة كنتها وتقول لزوجها:

-انظر الى كنة العمه مينا أو كنات أقرباثنا، انهن جميلات، حلوات يجاملن  
هذا وذاك ويخدمن حماهن وحماتهن، ولسن كالخرساء مثل كنتنا، ما شاء  
الله كم انا محظوظة بهذا الزواج. ولكن زوجها كان يعارضها ولايتفق مع  
آرائها، وكثيراً ما كانت تحدث مشادات كلامية بينهما وكان يقول لها:

-ما ذنبها، انها أجنبية ولاتعرف لغتنا، ألا ترين كيف تربي أطفالها الذين  
بدأوا يتعلمون اللغة الكردية. وأصبري عليها لابد أنها ستتكيف مع وضعها  
الحالي وتتعام اللغة أيضاً.

وترد آته خان بحدة:

-كيف تتعلم؟ وهي لاتختلط بنا، وحين تسمع جرس الباب تسارع الى  
غرفتها ولاتجلس مع الضيوف، وحتى أني هيات لها الزي الكردي بجميع  
ملحقاته ولكنها لتلبسه، وذات يوم وبناءً على الحاح ثخشان أرتدت  
الملابس الكردية غير أنها ما لبثت أن خلعتها وأرتدت بنطونها وأعتذرت  
لابنتي بأنها تتضايق حين ترتديها.

\*\*\*

الظاهر ان آته خان كانت تريد ان تكون كقتها مثالية حتى تتباهى بها بين اقربائها ومعارفها، وان ترتدي أجمل الملابس وأزهارها لا ان ترتدي هذه الملابس التي كانت لاتنفك تشبهها بالزي العسكري وكان زوجها يخفف من حدة توتر زوجته ويقول لها:

-أصبري انها مع الزمن تتغير وستتألفان معاً ولاتنسي الدموع التي كنت تذرفتها في غياب ابنك والآن لقد عاد مع زوجته وبذلك تحقق حلمك.  
-صحيح، كنت أتوق الى اليوم الذي يعود فيه حسن ويعيش بيننا.  
-إذاً، كل شيء يهون في سبيل حسن، ان مجرد النظر اليه والى أطفاله يجب أن ينسينا الأشياء الأخرى التي لأعتقد بأنها ستسبب أية مشكلة.

\*\*\*

ذات يوم كانت الأسرة مدعوة الى حفل عرس وكانت ثخشان قد نشرت أنواع المخشلات على فراشها وتمعن النظر اليها وهي محتارة في اختيار أجملها، فيما كانت بعض النسوة جالسات في الصالة كن قد أتين لاستعارة الملابس الزاهية من آته خان وخاصة انه عرس ابن خالها.

وحين دخلت آته خان الى غرفة ثخشان بادرتها ابنتها بالقول:

-ماما.. ألا تعرفين كلمة لا.. أو لا يوجد أو رفض الطلب هل من واجبك أن تلبي جميع رغبات وطلبات النسوة اللواتي يستعرن منك الملابس.  
فأجابتها أمها قائلة:

-لا.. عزيزتي، كيف أستطيع رفض طلب مليحة ابنة عمي وأنا أعرف بأن إمكانياتها لاتسمح لها بشراء مثل هذه الملابس، وما دام بإمكانني أن أدخل الفرع الى قبلها فلأعمله، وكنت عاصمة خان انا أعرفها كم تشتاق الى صايتي الحضراء فلماذا لأعيرها أياها لهذه الساعات؟.

-استمري في تعداد المستعرات، قالتها ثخشان يانزعاج.  
-لاداعي لذلك، فنحن مختلفتان في هذا الجانب، أنا أشعر دائماً بعدم  
أرتياحك حينما ألبى طلبات الجارات والقريبات، وانهن حين يعدن الملابس  
انت تبدئين بشمها وتقولين: عليها رائحة العرق.  
-المهم أنا أراها عادة غير مستحبة.

وأرادت أمها أن تقطع الحوار فضربت بمنديل حريري مطرز على ظهر ابنتها  
وقالت مبتسوة:

-الهم.. أستعجلي في تبديل ملابسك، ولأقم أنا بإدخال البهجة الى قلوب  
الأخريات، مادام الله قد وسع رزقه علينا، فلماذا نبخل به على غيرنا؟.

\*\*\*

وقبل ان تواصل ثخشان اكمال زينتها ذهبت الى جيني التي كانت تجفف  
شعرها وقالت لها: أي الملابس تختارين لترتيديها؟.  
فقالت جيني: أنا أحاول تلبية رغابتكم وكذلك رغبة حسن ولكنك هل نسيت  
تلك الليلة التي كدت أنقلب على رأسي حين اصطدم حذائي بحواشي ثوبي  
الطويل الذي كنت أرتديه.

-إذاً لاتجري نفسك على شيء لاتريدينه، أختياري ما تشائين.  
قالت ذلك وذهبت الى أمها غاضبة ولكنها قبل أن تصل الى غرفة الوالدة  
التقيت حسن وهو يخرج من الحمام فقالت له:

-أرجوك يا أخي لاتضغط على جيني دعها تختار ما تشاء من الملابس  
التي تروق لها.

وضرب حسن برقة على خد أخته وهو يقول:

-انها حرة، لتعمل وفوق مشيئتها وتلبس ماتشاء، وأنا لأجبرها.

فقالته أخته :

-شكراً يا أخي.

ثم واصلت السير نحو أمها التي باردتها بالقول:

-هل قلت لزوجة أخيك أن تلبس الزي الكدي؟.

فردت عليها ابنتها غاضبة:

-لماذا جعلتم من الزي الكردي مسألة خطيرة، أنها تتضايق داخل هذا

الزي، لماذا نجبرها على شيء لا تريده.

-أخشى ان تكون قد تشاجرت مع حسن على هذا الأمر والذي جعلك

غاضبة.

-لا.. أنه أستمع الى وتنازل عن الحاحه عليها.

-ماذا تقولين، أحلف بجميع المراقدين أن الزي الكردي للنساء من أجمل

الأزياء في العالم، عدا أنه محتشم.

فضحكت نخشان وقالت:

-أي احتشام تقصدينه؟ ألا ترين الفتيات اللاتي يلبس الأثواب الناعمة

الرقيقة الشفافة كيف يبرز الصدر والنهد لديهن؟.

وقالت أمها بغضب:

-لتأتي بينطلونها وبلوزتها التي تشبه الكيس، لماذا أحمل همها؟ فهي

حرّة.

\*\*\*

وكانت باحة الدار التي أقيم فيها الحفل غاصة بالنسوة، الألوان البراقة كانت

تسطع والمخشلات الذهبية تلمع، وكان الوضع أشبه بعرض الأزياء، وبين

النساء اللاتي كن يتبخترن بأزيائهن الكردية الجميلة كانت هناك فتيات

بملايس الموضة، ورغم ان الموسم كان ربيعاً إلا انه كانت هناك نوع من البرودة في الجو، كانت آته خان قد توسطت مجموعة من النساء فيما كانت ثخشان تساعد أهل العريس في تقديم الخدمات، وبين فترة وأخرى كانت آته خان تتفقد المطبخ لتتأكد من ان كل شيء على مايرام.

وقبل الغروب وصل موكب العروس الذي أستقبل بالزغاريد وكان حسن هو الآخر جالسا مع العريس، يحاول تقديم الخدمة لمن يحتاجها. ومن ثم مدت السفرة في باحة الدار للنساء اللواتي تربعن على السجاد المفروش حول السفرة وحين نادت آته خان كُنَّتها الى الجلوس حاولت كثيرا ولكنها لم تستطع بتنورتها الضيقة ان تجلس، فسارعت ثخشان الى نجدتها وقالت لأمها:

-ماما، حرام أن تتلف جيني بدلتها، انها لاتستطيع أن تجلس مثلنا. قال ذلك وسارعت الى جلب كرسي لها ووضعت طاولة خشبية أمامها. ولم تبال بالتعليقات التي شعرت بها من النسوة والتي بدأت من أقرب الناس من خالتها بهية خان شقيقة آته خان حتى وصلت الى الأخريات. قالت إحداهن:

-انها تشبه (القاضي) الذي يجلس على الكرسي وتتعقد نكاح العروسين. وكانت العروس هي الأخرى متربعة على السجاد تتناول طعامها دون أن تعير اهتماماً لتعليقات النسوة، وكانت تشع جمالاً بزینتها وملابسها ورشاققتها وجمالها الأخاذ، فضلاً عن انها كانت مثقفة وخريجة جامعة وكعادة بعض النساء المتباهيات حاولت آته خان ان تتباهي بكُنَّتها وامتدحت المعجبات التي تصنعها وبسهرها على أطفالها وبالنظافة التي تحرص عليها، رغم أنها كانت تتحسر في قلبها وتقول "لماذا لم يختر حسن فتاة مثل هذه العروسة".



الا انها كانت مستمرة في امتداح كَنَّتْها من باب التباهي.  
وبعد العشاء جاء حسن متأبطاً ذراع العريس الى حيث العروس وبدأت  
القبلات والتفاني تنهال على العروسين.  
وقد بان الفرح على الحضور إلا جيني التي كانت تشعر بالوحدة وتحس بأن  
هذه الحياة بالنسبة لها لاتتصور بأنها ستستمر.  
رغم حبها لزوجها وارتباطها الشديد بأسرة الزوج وتفانيها لطفليها الا انها  
كانت تشعر بأنها غريبة وليست لها أية صديقة سوى ثُخشان. الظاهر أن  
حسن وأصدقاؤه حين كانوا قد شربوا المشروبات الروحية وقد ظهر ذلك  
من خلال مداعبات حسن لزوجته، حيث كانت الخمر قد انتشتهم.

\*\*\*

لم تمض أيام كثيرة على هذا الحفل حتى حدث ان مات أحد أقرباء حسن  
المقربين، وكانت ضرورة والواجب الاجتماعي يتحتم ان تقضي أسرة  
حسن الليل مع أهل المتوفي كما وجب عليها البقاء معهم طوال فترة العزاء،  
فأصبحت جيني عقبة كأداء للأسرة فهي اذا حضرت العزاء من المحتمل أن  
تصاب بالغثيان أو بالكآبة حين ترى وتسمع العويل والصراخ والطم، وان  
تركوها في البيت بماذا يجيبون الآخرين الذين يتساءلون، لماذا لم تشارك  
كَنَّتْهم في العزاء؟ وتبدأ التعليقات الساخرة. وقد صح ما توقعته الأسرة  
حيث سمعت تعليقات من قبيل:

-انها غير معتادة على مجالس التعزية، ففي بلادها يكتفون بإرسال بطاقة فقط.

-لأتصور انها تعتاد على مراسيم التعزية إلا بعد مرور سنوات.

وصار موضوع مشاركة جيني في مراسيم التعازي نقطة خلاف بين أفراد  
العائلة ولكن حسن كان منشغلاً بمسائل أخرى ولم يكن يهتم بالقضايا التي

تخص زوجته لأنه كان واثقاً من أمه وأخته مخلصتان لجيني ولطفليها، ومع ذلك فقد كان حريصاً على مداراة زوجته وتقدير ظروف الغربية التي تعيشها، ولكن الظروف كانت تجعله أحياناً يثور ويخاطب زوجته بقسوة:

-انك تذكرين بأني في بداية تعارفنا حكيت لك كل ظروفي، وأفهمت بك بأني بعد تخرجي سأعود الى بلدي، كما شرحت لك أحوال شعبي وعاداته وتقاليدته التي أحترامها، اذا لماذا أسمع منك الآن هذا التذمر؟.

وحيث كان يشعر بأن كلماته كانت ثقيلة عليها كان يحاول قدر استطاعته التخفيف عنها، كما كان يردد في نفسه "كل شيء مهياً لها، السكن أحسن من سكنها السابق، وكل متطلبات البيت موجودة عدا ذلك ان أهلي لا يقصرون تجاهها فياًخذونها الى النزاهات كما أنني أخذتها مراراً معي الى بغداد والموصل، وأشركتها معي قبل النوم في العديد من الليالي في الشرب دون أن يعلم أحد من أهل البيت بالأمر".

وما كان يفكر فيه حسن كان صحيحاً، حيث كان كل شيء موضوعاً تحت تصرف الزوجة، وبالنسبة لاشتياقها الى أهلها فقد كانت هي الأخرى مرتبة اذ كانوا قد وضعوا جهاز الهاتف تحت تصرفها وكانت تتحدث مع أختها عبر الهاتف من حين لآخر بحيث كانت أحياناً تستمع الى آخر النكات المتداولة في بلاد الضباب.

\*\*\*

كان قد مضى من الربيع اكثره، ووخشان منهمكة في التهيؤ للإمتحانات، وجيني فرحة لأن العطلة الصيفية ستبدأ وهذه تعني اقتراب موعد سفرها الى انكلترا كما وعدها حسن بذلك ومن جهة ثانية كان شهر رمضان على الأبواب وبدأ الناس بتهيئة مستلزمات الشهر من المؤون، وكان حسن يشرح

لزوجته ما لهذا الشهر من ذكريات جميلة لدى أغلب الناس، كما كان يوضح لها مغزي الصيام وشعور الناس بأحوال الجائعين الذين لا يحصلون على قوت يومهم، ويقول لها: أود أن تعلمي بأنه يحدث أحياناً شجار بين شخصين لأنفه الأسباب وذلك بسبب الصيام أي الجوع والعطش وعدم التدخين، وكان أكثر ما يزعج الصائمين هو اشتياقهم الى الدخان ليلوثوا به رئاتهم. ومن خلال ضحكات طويلة كان حسن يقول لجيني: حين يمر الصائم أمام الأفران ويشم رائحة الخبز الطازج يسارع الى شراء عدد من الأرغفة، أحياناً يلجأ الصائم الى شراء الكثير من المأكولات التي يشتتها في تلك اللحظة والطريف أنه بعد أذان المغرب وانتهاء الصوم لم يكن يستطيع أن يأكل ما كانت نفسه تشتتة في النهار.

وحل رمضان ضيفا على الجميع، وفي يومه الأول كانت أسرة آته خان جميعا صائمة وفي مقدمتهم حسن الذي كان يريد ان يصيب بسهم واحد هدفين، من جهة كان يريد التقليل من وزنه ومراعاة جسمه الذي كان يشعر بأنه بدأ يتكرش، ومن جهة ثانية كان يريد أن يقول عنه الآخرون بأنه رغم حياته التي قضاها في الخارج مع الأجنب الا أنه حافظ على دينه وأحترام شعائر الإسلام وأداء الفرائض.

كان الكل صائمين عدا جيني وطفليها وشقيق حسن الصغير الذي لم يكن قد تجاوز العاشرة من عمره.

كان كل شيء هادئاً في ذلك الصباح. فلا صوت السماور، ولا التلف لإعداد الفطور أو تهيئة مستلزمات الغذاء، وكانت آثار الخمول وحب النوم بادية عليهم. حتى جيني كانت عابسة، وكان حسن قد أبلغها في الليلة السابقة بأن أباه وأمه وأخته سيصومون غداً، وأنت أمامك المطبخ بإمكانك اعداد ما تشتتهن للفطور.

وبعد خروج حسن لعمله سارعت آته خان للذهاب الى غرفة جيني ورجتها أن تهئ لنفسها ولطفليها ما تشاء للفطور، فيما كان ميرزا علي قد بدأ فور وصوله الى محل عمله بإرسال السلال والأكياس المملوءة بكل ما يحتاجه البيت لإعداد مائدة الإفطار.

أما جيني فلم تكن تعير أي اهتمام بما كانت قد طلبته منها آته خان وشغلت نفسها بمسائل جانبية.

ولكنها أخيرا دخلت المطبخ وأعدت الخبز والبيض والحليب وأكلة خفيفة لها ولطفليها. ولكن آته خان لم تكن مستريحة لذلك وبدأت تتأفف وتقول، كيف يشبعون بهذه اللقمات الصغيرة، ولكن ثخشان كعادتها حسمت الأمر وقالت:

—أماه، لماذا تجلبين لنفسك وجع الرأس؟ ان كل ما تريده جيني متوفر أمامها وهي حرة في اختيار ما تتناوله ولاتنسي أنها قالت لي: ستكتفي بهذا الأكل الخفيف لأنها ستشترك معنا في تناول ما نعهده للإفطار، اذاً لاداعي لأن تتأففي وتتحسري لعدم تناولها الكبة والكباب، اذا كنت ناوية الإستمرار في ازعاج نفسك بهذا الشكل فإنك لاتتحملين مواصلة شهر رمضان.

وهكذا أستمرت الحال، ولكن آته خان أحياناً كانت تدخل المطبخ خلسة لتهيئ لجيني وطفليها الفطور، وصادف ان عاد حسن ذات يوم ولما رأى أمه تعد الطعام لكتنتها غضب وقال لزوجته:

—ألا ترين أمي، انها صائمة، يفترض بك أن تعدي الطعام لنفسك لماذا تعاندين وتعتقدين الأمر؟.

وحين يتكرر هذا الأمر يكاد أن يؤدي الى خلق جو مشحون في الأسرة الى حد ما. وأحياناً كان يأتيهم الضيوف بعد الافطار أو أن أهل حسن يزورون الأقرباء والأصدقاء، وفي الحالات تلك تبدأ التساؤلات مرة أخرى.

"هل ان الست جيني صائمة؟".

وتضطر آته خان الى إيجاد الحجج وتقول:

-أتى لها أن تعرف ما هو الصيام؟ رغم أنها والحمدلله مسلمة واستوعبت الفرائض الإسلامية والشعائر الدينية من مسجد لندن، اضافة الى ما كان ابني حسن يعلمها، ولكنها مع ذلك لم تتعود على الصيام وخاصة أن حالتها الصحية -لهفي عليها- لاتساعدها على ذلك.

فيما كانت الهمسات تبدأ:

-من يقول أنها أشهرت إسلامها وفي هذه الحالة فإن الشيء الذي تقدمه لغيرها يعتبر حراماً.

-لا.. لا- انها مسلمة، ولكن أعتيادها على عاداتنا وتقاليدنا يحتاج الى زمن.

وآخرون يقولون:

-لست أدري لماذا أصبحت هذه الإمراة مشكلتكم الكبيرة؟ وثمة شيء آخر إنني أسألكم هل أن المسلمين كلهم صائمون؟، حتى تأتون وتحاسبون هذه المرأة الغربية! وكلكم تعرفون بأنه من المحتمل أن نصف المواطنين عندنا غير صائمين.

\*\*\*

وذات أمسية كان قد جاء ضيوف الى بيت آته خان حيث تناولوا جميعاً الإفطار معاً، وبعد ذلك بدأوا يتحدثون في مختلف الموضوعات وكان الحديث يدور حول ذكرياتهم مع الصيام ماذا كانوا يعملون حين كانوا أطفالاً صغاراً وكانت آته خان تضحك وتقهقه من بعض تلك الحوادث التي سمعتها، وأرادت ان تدلو بدلوها فقالت:

"كنت في الحادية عشرة من عمري، لقد حلفت أُمي وجدتي وتوسلت إليهما أن توقظاني من النوم في موعد السحور لأصوم معهم، رغم أن والدتي كانت تقول لي انك لاتستطيعين الصيام ولا تتحملين، ولكن كلامها كان غير مجد بالنسبة لي واستمررت في التوسل إليهما الى أن أجبرتهما على ايقاظي في السحور وكنت أستيقظ وأثار النعاس بادية عليّ، وأحياناً لم أكن أستيقظ من النوم حتى أجبر عليه حسب طلبي، كنت أستيقظ وأبقى جالسة في فراشي الى أن كان النعاس يتخلى عني رويداً رويداً وخاصة حين كنت أسمع صوت الصواني والأواني والملاعق والاستكانات وازيز السماور الى جانب دق الطبول من الخارج والتي ما أن تقترب أكثر حتى كنت أنهض من مكاني".

واستطردت آته خان في سرد ذكرياتها مع رمضان في طفولتها قائلة:

"كنت أبدأ بالتهام الطعام بعيون ناسعة حتى أشبع، ثم أقوم بغسل أسناني وأعود الى النوم، وحين اقترب موعد ذهابي الى المدرسة كانت توقظني أُمي بدلال تارة وبالرجاء تارة أخرى وتضرب صدها تقول:  
"ثكلتني أُمي، طفلتي صائمة وعليها الذهاب الى المدرسة أيضاً".

وثم تسألني:

-ماذا تشتهين للإفطار فدتك أمك؟ أطلبي أي طعام تحببته حتى أعده لك.  
وأنا أقول:

-لا تهتمي ماما أي شيء تطبخينه سأكله، أو أقول:

-حسب رغبتك، مع أنني أتصور بأنك تعرفين جيداً ماذا أشتهي؟.

وتبدأ أُمي يذكر أسماء الله الحسنى وترد عليّ:

-على عيني.

وحين كنت أعود ظهرا من المدرسة أشعر بإنهاك شديد، فكانت أمي وجدتي تحيطانني بالرعاية احدهما تقول: عليك الآن بالراحة في فراشك، والأخرى تقول، خذي النقود واذهبي الى السوق وأشتر ما ترغبين. والمسكينتان لم تكونا تعلمان بأن ابنتهما العاقلة مع كل ما تناولته في السحور الا انها ما ان تبتعد عن البيت حتى تبدأ بتناول ما تحصل عليه أو ما تصل اليه يداها، وفي سبيل عودتها من المدرسة تأكل حتى الشبع. فكان الحاضرون يضحكون من حكاية آته خان، ويأتي دور واحدة أخرى لتروي ماحدث لها مع رمضان وتقول:

مررت بنفس الظروف التي تحدثت عنها ابنة خالتي آته، كنت في الثانية عشرة من عمري حينما تعودت على الاستيقاظ من النوم والمشاركة في السحور مع أبي وأمي، وذات يوم كان النهار على وشك الإنتصاف وكنت أشعر بعطش شديد وشربت حتى أرتوي ظمأي ثم صرخت بشكل مصطنع قائلة: "ويحي، أماه، لقد نسيت أنا صائمة وشربت الماء، فجاءت أمي وخالتي وأحتضنتاني بلهفة وهما تقولان:

-لاعليك يا ابنتي، مادمت لم تكوني منتهبة، وشربت الماء دون ان تعرفي بأنك صائمة، فصيامك مقبول ولاغبار عليه، وبدوري كنت أحاول مسح دموعي متظاهرة بأني كنت أبكي أسفة على شرب الماء وخوفي من أن صيامي يكون قد أبطل، وتواصل كلامها وتقول: وأحيانا حين كنت أذهب الى دكان أبي، كان يقول لي: يا ابنتي لقد أرسلت العامل (سعيد) الى قضاء بعض الأعمال، فأبقي جالسة في الدكان ريثما أوءدي صلاة العصر، وما أن يغادر أبي الدكان حتى أبدأ بتناول الشوكولاتة والسكاكير ومن السما

والمعجنات، ولم أكن أقتنع بما التهمته بل كنت أملأ جيوبي بها، وفي طريق عودتي الى البيت حتى أمثل دور تامنهة وأتساءل:

-ماما، كم بقى من الوقت لأذان المغرب؟ رباہ كم النهار طويل، انه لاينقضي، وكانت هي ترضى خاطري وتعود لتقول لي: لن أدعك تصومين بعد اليوم.

وكانت أُمي تمدحني لدى الجيران، حتى ان احدى الأمهات حين غضبت من ابنتها ذات يوم عيرتها بي وقالت:

-ألا ترين حفصه العاقلة بنت جارتنا وهي صائمة وانت تكبرينها بسنة ومع ذلك نراك طوال النهار تمضغين العلج دون أي مراعاة لشهر رمضان.

وابنتها التي كانت صديقتي ترد على أمها غاضبة:

-ماشاء الله لها ولصياها، تالله انها تكذب، ولم تصم يوماً واحداً لقد رأيتها قبل لحظات وهي تأكل الأجاص.

وكانت حفصه التي تروي الحكاية قد غلبها الضحك من عملها الصبياني الذي عملته في طفولتها وعادت تقول: وهكذا فضحتني صديقتي لدى أمها، وأظهرت أكاذيبي لدى صديقاتي، وحين التقينا في طريقنا الى المدرسة تشاجرنا وتضاربنا الى أن تعبنا.

وانبرت احدى جارات آته خان لتروي ما حدث لها في رمضان بعد ان أخرجها الحاضرون بقولهم:

-وأنت يا لطفية خان، تفضلي لنسمع شيئاً من أحاييلك في رمضان، فضحكت لطفية خان وقالت:

كنت في نفس العمر الذي أشارت اليه آته خان وحفصه خان، كان أهل بيتنا كبيرهم وصغيرهم صائمين، وأنا ساعدني الله كنت محسوبة على



الصائمين كنا نسكن في محلة "صابونكران" وقبيل المغرب كان الأهل يبعثوني الى سوق المحلة حيث كان أحد أصحاب الدكاكين صديقاً لوالدي ويعاملنا معاملة جيدة ويختار لنا الأفضل وذات مرة بعثوني لأجلب اللبن قالت لي والدتي:

-لاتشغلي نفسك في الطريق، عودي مسرعة، لأن موعد الأذان قد اقترب وكانوا يعطونني النقود لأشتري لنفسي النقل والشكولاتة، وذهبت حيث سلمت السطل الذي كان معي لصاحب الدكان الذي ملأه باللبن الخائر الجيد ونصحني كعادته في كل مرة بأن أنتبه لنفسي أثناء العبور من الشارع خوفاً من السقوط وانسكاب اللبن، ولكني خلال عودتي كنت قد تعودت كل اليوم أن اركن في زاوية وأبدأ بأكل الطبقة العليا من هذا اللبن الخائر اللذيذ.

وظلما كان أبي يسب ويلعن صاحب الدكان ويتهمه بعدم الأمانة، حيث أن سطلي ليس مملوءاً كفاية باللبن ويقول:

-يظهر ان هذا اللعين لايمك المعلقة ويصب اللبن في السطل بالأيدي.  
وتم ذات مرة سألني:

-ابنتي، هل وضع اللبن أمامك في السطل؟.

وأنا كنت أكذب وأقول:

-لا يا أبي، لا أراه، لأنه يدير لي ظهره أثناء صب اللبن في السطل. ويبدأ والدي بالزمجرة ويقول:

-أعرف هذا النحس، منذ أن أصبح يملك قرشين بدأ ينسى دينه وينسى أصدقاءه وأحبابه، غداً لا بد أن أوءده على فعلته هذه وكنت أخفض رأسي وأبقى صامتة، وكنت واثقة بأن أبي لن يذهب اليه لاغداً ولابعد الغد،

لأن طريقة الى السوق الرئيسية ليست على طريق دكان صاحبنا، وحينما يعود مساءً يشعر بالتعب، لذلك ينسى حكاية الذهاب الى صاحبة القديم ومحاسبتها.

ولكن وبالصدفة التقى أبي ذات مساء بصاحبه البقال، لست أدري هل كان في الجامع أو في مكان آخر، ويبدأ أبي يعاتبه على حكاية اللبن الناقص كل مساء ويفاجأ الرجل يبدأ بالقسم بأغلظ الإيمان بأنه يبعث له كل يوم أجود أنواع اللبن وملء السطل، وحين عاد أبي الى البيت قال لأمي: لاتبعثي ثانية لطفية الى دكان البقال لأنها تتعب وخاصة أنها صائمة، لقد وعدني البقال بأنه سيبعث لنا كل مساء اللبن بيد الصانع الذي يعمل عنده.

وحين كان يأتي الصانع باللبن المغطى بالقشطة اللذيذة، كان الأهل جميعاً يستغربون من هذا التحول، ومع ذلك لم ينهرني أحد ولم يحاولوا أفشالي حتى لأخجل.

وإزداء ذلك ضحك الحاضرون على فعلة لطفية خان واعترافاتها الصريحة. وفيما هم يتسامرون دخل شاب من أقرباء الحاج ميرزا علي وسلم على الحاضرين ثم أعطى حقيبة واضبارة ورزمة من الأوراق الى ثخشان وقالت: -أمرك.

وبدأت النسوة يسألن الشاب أسئلة مختلفة اردن التحرش به كمحاولة منهن لاطلاق بعض الكلمات التي كن توافقات لسماعها وخاصة انه معروف بكونه منكتاً وذا لسان حلو كما يقال، والحضور كلهم أقرباء لاغريب بينهم فوجه كلامه اليهم باسماء:

-لماذا تضحكون؟ أخشى ان يكون صوت ضحكاتكم قد وصل الى نهاية الزقاق.

وهنا تدخلت آته خان لتقول له :

-بالله عليك يا محمود حدثنا عن احدى حوادث رمضان في فترة طفولتك.

فجلس الشاب متربعاً وقريباً من السماور وقال:

-أولاً أنا جائع، أعطوني شيئاً لأكله، أخشى انكم تريدون ان يكون كل شيء لكم، لأنكم صيام وأنتم أحق به، ناسين بأننا متعبون أيضاً منذ الصباح نقف مع العمال والبنائين وننقل أكياس السمنت والحديد، وانتفضت ثُخشان قائلة:

-على عيني، سأجلب لك الآن ما تأكله، ثم يأتي دورك لتحدثنا عما حدث لك في رمضان.

محمود الذي يناديه الحضور تحبباً (خوله)، نزع يشماغ رأسه وضحك ثم قهقه عالياً حيث انتقلت ضحكته الى الآخرين الذين شاركوه في الضحك وقالوا له :

-أنت لم تقل شيئاً حتى تضحك، ضرب محمود كفاً بكف ومرة أخرى عاوده الضحك وقال:

-قسماً بالله بعد كل هذه السنين ما زلت أضحك حين اذكر تلك الحادثة، كنا في رمضان، وكنت في الخامسة عشرة من عمري، وذات يوم كانت أمي قد طبخت الكفتة - الكردية.. فملأت سطلاً بالكفتة والسوب وقالت لي: فديتك يا خوله، خذ هذا السطل الى بيت خالك، لقد وعدتهم قبل يومين بأن أبعث اليهم بالكفتة، لأن خالك يشتهي الكفتة التي أعملها كما تعرف.

وقلت لأمي حسناً، سأذهب في الحال، وكان بيتنا في (اصابه سبي) اما بيت خالي فكان في محلة (شيخان) تناولت السطل من أمي وكان يحوي أكثر من سبعة أو ثمانية كفتة كبيرة منتقاة بعناية ومعمولة بشيء من الخصوصية،

مع سوب ممتاز مليء باللحم الخالي من العظم، وكانت نكهة الكفتة مغرية بدرجة فظيعة، ولم تنس أُمي لتقول لي:

- يا ولدي، اذا كنت تشعر بالجوع فتعال وتناول طعامك ثم خذ السطل الى بيت خالك.

ولكني قلت لها:

- انا لا أشعر بالجوع، لأخذ الكفتة الى بيت خالي وبعد عودتي أنناول طعامي معكم فقالت لي أُمي مراراً.

- فديتك نفسي، انتبه في الطريق، سر على مهلك، ولا تستعجل، لئلا تقع وينسكب السطل ويتلف الطعام.

وأجبتها:

- على عيني يا أُمي.

تحركت، وأقتربت من ساحة السراي وحين هممت بعبور الشارع اصطدمت رجلي بشيء وسقطت على وجهي وانطلق السطل بعيداً وبدأت الكفتة العزيزة تتدحرج في الشارع كأنها كرات اللعب، نهضت مسرعاً نسيت الخدوش والجروح الخفيفة التي أصابتنني والآلام التي كنت أشعر بها، فسارعت بجمع الكفتة الواحدة تلو الأخرى ووضعتها في قطعة القماش التي كنت أحملها هي الأخرى التي كانت تضم عدداً من الأرغفة المقلاة التي كانت أُمي قد بعثتها الى خالي اما السطل فلم يبق فيه الا القليل من ماء الكفتة وحاولت ان أسمح عنه معلق به من الغبار والتراب وأسرعت الخطى متوجهاً نحو الجامع الذي كان في طريقي فنظفت الكفتة جيداً بالماء ووضعتها في السطل ثم رميت قطعة القماش بعيداً وذهبت الى بيت الخال وسلمتهم الكفتة والأرغفة المقلاة وركضت عائداً رغم مناداتهم لي قائلين:

-تعال يا ولدي تناول الطعام معنا.

ولكني لم أرد عليهم وركضت عائداً نحو البيت.

وفيما بعد علمت بأن خالي كان قد أخبر أُمي قائلاً لها:

-فهيمة، ما هي حكاية تلك الكفتات، وكأنها طبخت بماء الحنفيه انها لم تكن تشبه الكفته التي تصنعينها، لأنها كانت خالية من الطعم والمذاق والنكهة.

وضج الحاضرون بحاكية خوله وكفتاته المتدرجة على الشارع وأحياناً كانت جيني تمر بجانبهم وتذهب الى حالها، دون أن تلتفت اليهم، وكل هذه الحكايات والضحكات لم تكن تعنيها بشيء، يجوز أنها في قرارة نفسها كانت تعتبر كل هذه الضجة والقهقهات لاعمى لها بعكس الحاضرين الذين كانوا منتشين بتلك الأفاصيص والخلاصة انهم كانوا في واد وجيني في واد آخر، بين تفكيرهم وعقليتهم وأسلوب عملهم وبين ما كانت تفكر به اختلاف كبير جداً يتجاوز الآف الأميال عبر الصحاري والبحار، بقدر بعد وطنها عن محل اقامتها الحالي، وهذا البعد يوازي الإختلاف في أسلوب تفكير الطرفين.

رغم ان جيني كانت قد تعلمت بضعة كلمات كردية، لكنها وبحسبها حتى لو تعلمت عشر مرات بقدر ما تعلمته لم تكن تجديها نفعاً ولا تستطيع ان تقشع الغمامة على صدرها. اما طفلها فقد تعلمنا الكردية سريعاً لأنها كانا يقضيان جل وقتهما مع سرقول أبنه العمه منيجه التي كانت تسهر عليهما وتأخذهما الى النزهة ورياضة المشي.

\*\*\*

حلت العطلة الصيفية للمدارس، وبدأت "جيني" تستعد للسفر الى انكلترا مع أطفالها صحبة حسن مع النية باستصحاب ثخشان معها ايضاً.

وجاء اليوم الموعود متوجهين، الى بغداد برفقة الحاج علي وآته خان. كانت جيني قد اشترت هدايا لأمها ولشقيقتها وأقربائها وكانت فرحة جداً بحيث لا يسعها الدنيا من الفرح، والضحكة لاتفارق شفيتها وتبدلت الى درجة أصبحت فيها كائناً آخر، فهي كانت محقة لأنها ستعود الى أهلها الذين فارقتهم منذ شهور، وازاء فرحتها هذه ضربت آته خان كفاً بكف وقالت:

- سبحان الله، كيف غيرها الفرح؟ لم نرها يوماً في السليمانية فرحة كما نراها اليوم، لقد كانت مكتئبة دوماً كأنها سجينه قابعه في زنانه، او كأنها جاءت الى قوم وحشي مفترس، لذلك لم تكن تتصرف بشكل معقول. وكانت تخشان قد هيات نفسها لهذا السفر وما انفكت أمها تعانقها وتنصحها بأن تكون حذرة وهي تقول لها:

- هناك حيث تسافرين، الجو بارد والأمطار تتساقط باستمرار، وأرجو الا تفارقي حسن وجيني، يقال أن في لندن يضيع الإنسان في أكثر الأحيان، لاتركبي التاكسي وحدك، اذا افترقت عنهما في السوق ولم تجديهما لاتفارقي مكانك حتى يعودان اليك، اما اذا حاولت ترك مكانك وبدأت بالبحث عنهما فإنك ستضيعين لامحالة ولاتعثرين عليهما كما لايعثران عليك بدورهما، واحتفظي دائماً برقم الدار ورقم هاتف المسكين في محفظتك داخل حقيبتك اليدوية، لاتشرحي لأحد بأنك ضائعة، قولي ذلك فقط للشرطي. آته خان تتحدث وتخشان تستمع اليها خاضعة، تهز رأسها وتقول:

- نعم أمي العزيزة، على العين، حسنا سأنفذ ما قتلته لي. في قرارة نفسها كانت تخشى ركوب الطائرة، لأنها كانت المرة الأولى في حياتها تتركب فيها الطائرة، رغم أنها كانت تحاول أن تظهر نفسها بمظهر

من لا يخاف ركوب الطائرات، ولكن الخوف الذي كان مسيطراً على عقلها وقلبها كانت تحاول إخفائه وانها تخجل من أن تظهره خاصة انها كانت لاتتمني أن تستهزئ بها جيني.

كانت ثخشان قد أردت بدلة جميلة وكانت تتفقد حقيبة سفرها وتفتش حقيبة يدها كأنها مرتبكة لهذا السفر وتحاول أن تشغل نفسها بحقائبها حتى لا تظهر عليها علائم الإرتباك او الخوف.

وأخيراً وصلوا المطار، انتهى وزن الحقائب التي شحنت الى الطائرة وآته خان ما زالت تقرأ سور القرآن وتتلو الأوراد ولم تكن منتبهة الى شيء آخر ثم نودي على المسافرين، بكت آته خان قليلاً وقلبت الطفلين ثم عانقت حسن وقلبت جيني وقالت لها:

-سيري يا عزيزتي، ليكن الله معكم، بلغني أمك وشقيقتك تحياتي، وحافضي على الأطفال وانتبهي لنفسك وأرجو أن تراعي ثخشان، ودون أن تعي جيني شيئاً مما قالته حماتها قالت: اوكي.. اوكي.

عانقت آته خان مرة أخرى ثخشان وبصوت متهدج قالت لها:

-ليرعك الله، سافري بإذنه تعالى، وفور وصولك لندن اتصلي بي هاتفياً.

صعد المسافرون الطائرة وأخذ كل واحد منهم مكانه في متعده الخاص به، كان حسن وزوجته وابنه معاً، اما ثخشان والطفلة سوزان فقد كانتا معاً، نظرت ثخشان الى ما حولها وبدأت الرهبة تزول الى حد ما. قالت في نفسها:

-في الحقيقة، ان ركوب الطائرة ممتع ويحي! لماذا أخاف الى هذه الدرجة؟ وبدأت تاطائرة تبدأ بالهدير، ثم رن جرس صغير ونبه الجميع الى أن يشدوا الأحزمة، وكتب أمامهم، ممنوع التدخين. ثم سمعت قرععات شد الأحزمة، ومانت ثخشان تنظر خلسة الى يدي الآخرين لتتعلم كيفية شد

الحزام، حاولت تحريكه يميناً ويساراً، لم تكن تدري كيف تشده وأخيراً نجحت في شد حزامها دون ان تستعين بأحد، وقد فرحت بذلك.

تحركت الطائرة رويداً رويداً، في هذه الأثناء وقفت مضيفتان في مقدمة الطائرة ومؤخرتها، متوجهتان نحو الركاب وبدأتا بالقاء الإرشادات والتعليمات بالإشارات و ثم بالكلام، وأشارتا الى جانبي الطائرة دلالة على وجود ابواب الخروج، في حالة حدوث طوارئ حين تكون الطائرة علي ليخرجوا منها، و ثم أخرجتا كيساً مع بعض الأسلاك وأشارتا الى الركاب الى أنهم بإمكانهم في حالة انعدام غار الأوكسجين أن يربطو الأسلاك بالأمكان المخصصة لها أمام وأعلى مقاعد الركاب للحصول على الهواء النظيف ليساعدهم على التنفس ويمنع اختناقهم. كما أشارتا الى تحت المقاعد وقالتا: هناك سترة الانقاذ تحت المقاعد في حالات الطوارئ بإمكانهم ارتدائها وهكذا تنفخون فيها، حين تهربون وتقعون من الأعلى الى الأرض لن تصابوا بالأذى الكثير، وفي حالة سقوطكم داخل الماء في البحار أو الأنهار تساعدكم هذه السترة المنفوخة أن تطفو فوق الماء وتمنع غرقكم. رغم أن المضيفتين لم تكونا تشرحان ذلك بوضوح، خوفاً من عدم تخويف الركاب الا أنهما كانتا تبغيان افهام المسافرين بأسلوب منمق مثل تلك الحوادث وكأنهم توءديان رسالتهما وكفى.

لقد اندهشت تخشان لدى رؤيتها وسماعها تلك الإرشادات والإشارات رغم أنها لم تستوعب كامل التفاصيل الا أنها وقعت في دوامة وقالت في نفسها:

—ربّاه، لا بد أن هناك شيئاً على هذا تعطي المضيفتان كل هذه الإرشادات، وإلا لماذا حين يركب الناس وسائط النقل الأخرى لا يقول لهم أحد شيئاً من هذا القبيل؟.



أشار إليها شقيقها حسن من المقعد الخلفي ماداً يده إليها:

-ها تخشان! كيف حالك؟ هل ركوب الطائرة ممتع؟

أجابته تخشان وهي متكررة الى حد ما:

-أي والله ممتع، ولكني لم أفهم جيداً ما كانت الفتاتان تتحدثان عنه.

ضحك حسن وقال:

-هذه الإرشادات ضرورية، وهي عادة متبعة لإطمئنان المسافرين أرجو ألا

تعيري ذلك أهتمامك، ولاتخافي، الطائرة أكثر أماناً من السيارة.

كان حسن يحاول تهدئة خاطر سقيقته وهو يرسم ابتسامة كبيرة على

شفتيه، لعله يبدد مخاوفها، واستطرد قائلاً:

-هل تعلمين كم هو عدد السيارات التي تصطدم يومياً ببعضها، أو تنقلب

بركابها وتسبب في موتهم أو إصابتهم بالعوق. ان حوادث السيارات لاتعد ولا

تحصى، ولكنها لاتحظى باهتمام الناس كثيراً وذلك لكثرتها، ولكن لا قدر

الله لو حدث حادث خلال سنة او سنتين لطائرة ما يصبح الأمر المادة

الخبرية الرئيسية للإذاعات والتلفزيونات والصحف، على هذا يا حبيبتي ثقي

بأن الطائرة أمينة وممتعة ومريحة.

\*\*\*

كانت الطائرة مازالت تزحف على الأرض، أطمأنت تخشان لحديث شقيقها وانفتح

قابها، فبدأت تنظر من نافذة الطائرة تارة وتجيل ببصرها بالركاب تارة أخرى فيما

أدخلت سوزان ابنة شقيقها أصبعيها في أذنيها ونظرت الى عمته ضاحكة وهي تقول:

-الآن ستصاب أذاننا بالصم.

بدأت الطائرة تسرع من سيرها بشكل حاد وتوجهت مقدمتها الى الأعلى

وبدأت ترتفع.

قالت ثخشان في سرها:

"يارسول الله! يارب أستر واحفظنا سالمين".

بعد هذه الدعوات نظرت الى الأسفل فرأت السيارات والدور والبنائيات أصبحت كأنها لعب الأطفال لصغرها، فيما كانت الطائرة ترتفع أكثر وأكثر الى أن أصبحت الطريق والشوارع على الأرض كأنها خطوط طويلة والسيارات في نظرها كأنها الصراصير، والحدائق والبساتين تشبه قطعة أرض صغيرة مزروعة بالثيل، والعمارات صارت كأنها علبة شخاط. أغلقت ثخشان براحة يديها أذينيها وقالت:

-لقد صدقت سوزان، أشعر كأني أصبت بالصم، بعد فترة قصيرة دق ثانية الجرس الصغير، انطفأت إشارة شد الأحزمة، كما بدأت أصوات فتح الأحزمة تختلط ببعضها، وبدات الحركة تدب في الركاب ومنهم من تحرك نحو المرافق، وبعضهم أخذ أطفاله إلى حيث التواليت والمضيفات بدأن يدفعن بالعربات المحملة بالأطعمة وهن يهيئن الصواني لتقديم المأكولات الى المسافرين، وما هي الا لحظات حتى بدأ الركاب يشمون رائحة الشاي والقهوة، وقدمت المضيفات الى كل واحد منهم صينيته الخاصة ووضعتها على الطاولة المتحركة الموجودة أمامهم وكانت حافلة بالمأكولات والمشروبات.

فيما أرتفعت الطائرة الى الأعلى وهي تطير وفق خط سيرها تاركة تحتها الأرض والصحاري والبحار والجبال، وهي ماضية في طيرانها كأنها طائر أفرد ناحيه، ومقدمتها تسحق قطع السحب وتعبرها بسرعة، كأنها فرحة جذلى وهي في العلو على أرتفاع الآف الأقدام، حرة وبعيدة عن صخب الأرض، تحاول قدر المستطاع الحفاظ على الأرواح التي في جوفها وأن تصل

بهم الى بر الأمان وبسلامة واطمئنان، كما أنهم سلموا اليها حياتهم ودخلوها مطمئنين، جالسين لاحول لهم ولاقوة، عليها أن تحاول قدر استطاعتها محافظتهم وضمانه أمنهم وسلامتهم وأطمئنانهم، ولا تهتم بثقل ما تحمله. بدأ الفرخ يسري في قلب ثخشان وتقول في نفسها:

-بورك هذا العقل الذي صنع هذه المعجزة، من هو هذا العبقرى الذي اخترعها يا ترى؟ بارك الله أباه وأمه، ليتني استطعت أن أعبر عن حبي وتقديري لهذا الإنسان الرائع الذي أخترع هذه الآلة القيمة النافعة للبشرية. ثم بدأت تلاطف وتلاعب سوزان وبعدها تصفحت المجالات الموجودة في الدرج الذي أمام مقعدها، ثم عادت للحديث مع سوزان وهما تضحكان وبعد تناول طعامهما ذهبتا الى المغاسل وغسلتا أيديهما وبعد عودتهما ضحكتنا على إمراة عجوز، كانت قد صبغت وجهها وكحلت عينيها رغم كبر سنها. فيما هما تضحكان شعرتا بحركة غير اعتيادية للطائرة، فصمتت ثخشان وداهما خوف مفاجئ ونظرت الى ما حولها ولم تنس أن تقرأ سورة آية الكرسي التي كانت تحفظها، وبعد برهة بدأ الجرس المنصوب أمام الركاب بالإضاءة أيداناً بشد الأحزمة لأن الجو في هذه المنطقة ليس على ما يرام. بدأت أصوات شد الأحزمة مرة أخرى تبدأ هنا وهناك، بيد مرتجفة شدت ثخشان حزامها، وعيناها شبه جاحظتين وشففتها جفتا من الخوف وهي تنظر الى حوالها باستمرار.

ولكن سوزان شدت حزامها فرحة وبوجه باسم مشرق نظرت الى عمته وقالت: "الآن أبدأ بالنوم يا عمتي". واستعدت للنوم وهي جالسة على مقعدها وسرعان ما استغرقت في نوم عميق.

والطائرة ما زالت تمر بمطبات، وأرتفع صوت من مايكروفون الطائرة ليقول:  
"نحن الآن نمر من اعالي منطقة جبلية، الجو رديء، لذلك ابقوا الأحزمة  
مشدودة ولا تفكوها".

وكان حسن غارقاً في الحديث الضاحك مع زوجته ويدهما متشابكتان،  
الظاهر أنه كان قد شرب قليلاً من المشروب لأنه كان منتشياً وبوجه  
ضاحك مد رأسه الى حيث أخته قائلاً لها:

-كيف ترين الدنيا أختاه؟ ألا تشعرين بالضجر؟  
بالبتسامة متصنعة أجابته شقيقته:

-في الحقيقة أشعر بالغبطة، ان ركوب الطائرة ممتع، كأني جالسة في  
غرفتي، ولكن لا أعرف لماذا بدأت حركتها تختلف عما كانت عليها.  
فقال لها أخوها بشوق بالغ:

-انه لاشيء، كل ما في الأمر ان الجو بارد في بعض المناطق وحار في مناطق  
أخرى، واختلاف الأجواء يؤدي الى هذه المطبات حالها حال السيارة التي  
تصادفها مطبات في الشوارع.

أظهرت تخشان نفسها كانها استوعبت ما شرحه أخوها وأطمأنت لذلك،  
ولكنها في نفسها كانت تقول:

"والله، لم أفهم شيئاً مما قلته يا أخي! أية مطبة تعنيها، أية حفرة أو  
عائق في هذا العلو الشاهق، المهم، يا ارحم الراحمين نطلب الرأفة بنا  
واحفظنا من كل سوء.

وأخيراً وصلت الطائرة الى سماء لندن، وبدأ الركاب يهيئون حقائبهم اليدوية  
ويوقظون أطفالهم النائمين ويدلونهم على أن ينظروا من نوافد الطائرة الى  
المناظر التي يشاهدونها ليستمتعوا بها، لأن الطائرة على وشك الهبوط، وبدأ

السرور يظهر على محياهم بالوصول بعد أن كانوا مقوليين في هذه المقاعد طوال الساعات الماضية.

هبطت الطائرة وتلامست الأرض بعد أن أحدثت صوتاً وضوضاء كأنها تقول لهم:

- يا جماعة، لقد أوصلتكم بسلام، غادروا أماكنكم وأتركوني لحالي.  
تفتحت جيني وبدأت باعطاء الإرشادات لزوجها، اما ثخشان قبل أن تنزل كانت تفكر من الآن بمخاطر العودة، وذكرت الشهادة في سرها وقالت:  
يارب بارك الذي صنع هذه الطائرة، انه لعمل مجيد جداً وشيء خارق، تصور في خلال ساعات قليلة يصل المسافر من بغداد الى لندن، رغم خوفي الشديد، لكنني أعتبر الرحلة كانت ممتعة لعل خوفي مرده هو أنني اركب الطائرة لأول مرة.

وبدأ الركاب يصطفون للنزول مارين بالممرات، بعد تدقيق الجوازات وتسلم الحقائب خرجوا من المطار، بعد ذلك توجه كل واحد الى المكان الذي يقصده، الذين كان قد حضر لاستقبالهم الأقرباء والأصدقاء بدأوا بالعناق، أما الذين كانوا من غير استقبال فقد كانوا مسرعين الى حيث سيارات التاكسي لتوصلهم الى الأماكن التي يقصدونها. اما حسن وزوجته وطفلاهما وأخته فقد كانت أم جيني وابنتها الكبرى في انتظارهم فرمت جيني نفسها في أحضان أمها وثم قبلت أختها وهما بدورهما بدءا بالترحاب بحسن وشقيقته وطبعنا القبلات على جبين الطفلين وكان استقبالهما حاراً ولطيفاً.

\*\*\*

ركب الجميع سيارة سقيقة جيني التي بدأت تسوقها عبر شوارع لندن الى ان وصلت الى أمام حديقة صغيرة مدورة في ركن أحد الشوارع العامة حيث

اوقفت سياراتها، وكان بالقرب منها صيدلية وسوبرماركيت وحانوت بيع اللحوم، ومخبز ومحل بيع الحلويات وبعد سلسلة الدكاكين هناك درج حديدي فبدأوا يصعدون هذا الدرج حتى وصلوا طارمة طويلة غير مسقفة تطل من احد اطرافها على الشارع ومن طرفها الآخر تظهر أبواب الشقة التي تعلق أحد الدكاكين فوقفت أم جيني أمام إحدى هذه الأبواب وفتحتها ثم دخلوا جميعاً الشقة الصغيرة المؤلفة من غرفتين للنوم ومطبخ صغير لايسع لسوى شخصين وغرفة للجلوس في أحد أطرافها مائدة صغيرة للطعام ومقابلها مرافق وحمام.

بعد استراحة قصيرة وترتيب الحقائب وغسل الوجوه والأيدي اجتمعوا في غرفة الجلوس، كان الوقت بعد الظهر والمساء مغيمة وزخات المطر تتساقط منها.

قامت جيني بتقديم ثخشان ثانية الى أمها وشقيقتها ومدحتها كثيراً قائلة:  
- هذه هي الفتاة الطيبة التي كان خير عون لي والتي طالما حدثتكم عنها  
لم تكن تفارقني أبداً.

وكان جوابهما هو تقديم الشكر لها واستحسانها، بعدها استأذنت "سوى"  
شقيقة جيني من الضيوف لأن عليها الذهاب لإعادة أولادها من المدرسة،  
وكانت ثخشان حائرة كيف أن الطلبة الآن في موطنها يتمتعون بالعطلة  
والصيف جلب معه الحر، بينما هنا في انكلترا مازال الطلبة يداومون في  
مدارسهم وبدلاً من الحر توجد الأمطار، وكل من رأته وجدته يرتدي  
المعطف المطري وبيده مظلة.

\*لم يكن نوم ثخشان مريحاً في ليلتها الأولى، رغم أن مكان نومها كان قد  
تغير وهو بحد ذاته يؤثر على نومها إلا أنها بالإضافة الى ذلك كانت قد

ابتليت بشخير أم جيني التي كانت تشاركها في غرفتها الضيقة، والغرفة بالأصل هي عائدة الى (ريتا) أم جيني، وكان حسن وزوجته والطفلان ينامون في الغرفة الأخرى، وفيما هي تتقلب في فراشها كانت تفكر في خطة تنقذها من هذا الشخير لذلك اعتزمت ان تخبر حسن غداً بالأمر لعله يجد لها حلاً ولكنها كانت تجيب نفسها:

وماذا يستطيع ان يعمل حسن، هذا هو امكانية البيت وسعته، لاتوجد فيه سوى غرفتين، وهل يعقل أن أطلب من صاحبة الدا أن تنام على الأريكة في غرفة الاستقبال، إذاً ما العمل؟ ثم تعود الى ذاتها لتؤنبها على هذه التخيلات وأخيراً قالت في نفسها:

"نامي.. مهما تكن الحال فعليك أن تنامي.. آه لاتستطيع الهانم أن تنام لأنها قد تعودت على غرفتها الواسعة، هنا ليس السليمانية، لا تتدمري أكثر من ذلك، ولا تتقلبي يميناً ويساراً.. أنت جئت الى لندن للراحة والاستجمام، للتمتع بجمال المدينة التي يحلم الكثيرون بها لتكن الغرفة غير مريحة، عودي نفسك عليها، وتكيفي مع الواقع " هنا كانت تصحو قليلاً وتندم على تدمرها ومع ذلك فلسان حالها كان يقول:

"رَبته.. أبتاه.. ان هذه العجوزة لا تسمح لي بالنوم، ورائحة بيتها رطبة أشم فيها رائحة العتق والرطوبة.. يخيل الى اني أشم رائحة كلبها أيضاً.. أو لم أرها تحتضنه وتدلله؟ وبعدها ألم تنيمه على الأريكة.. شكراً لجيني التي شرحت لأمها ان الكلب ليس مرغوباً فيه عندنا ولم يتعودوا على مجالسته معهم، لذلك طلبت منها أن تبعث بكلبها الى بيت "سوى" وليبقى عندها ما داموا في ضيافتها".

وهكذا حلت جيني الأمر وتنفست ثخشان الصعداء، وحين وصلت الى مرحلة خلاصها من الكلب قالت في نفسها:

-بوركت يا جيني، والله لم أستطع تناول العشاء بشهية حين كان الكلب بين ظهريننا، كنت أتصور ان المائدة والكراسي والأواني وكل ما هو موجود في هذا البيت قد تلوث بشعر الكلب، لكم استغربت واندعشت حين كنت أرى ريتا وسوي وطفلي حسن يقبلون الكلب ويلمسون وجهه وأنفه المبل..  
أوه.. أماه كنت أود أن أتيقاً..

حقا ان الإسلام لهم مزايا مميزة منها تحريم فم وأنف الكلب، أنا أحب الكلاب وأعطف عليها ولكني لا أريد أن ترافقني كظلي وتعيش معي بشكل دائم.

ثم تقلبت على جنبها الآخر وواصلت تذرهما الصامت:

"رباه.. كم هو الفرق شاسع لبننا! وكم هي شقة الأختلاف بين عاداتنا وتقاليدنا وسلوكنا مع عاداتهم وتقاليدهم وسلوكهم.

انظروا كيف كانوا يعاملون هذا الكلب وكأنه أحد أحبائهم فيما انا كنت أشمئز وكدت ألا أتناول حتى الطعام لأنني كنت أتصور البيت كله نجساً" هنا كانت قد أعادت ثخشان بذاكرتها الى الورااء وقالت " اذاً كانت جيني على حق، حين لم تكن تعلد وتقاليدنا وعاداتنا بسهولة، هناك بعد شاسع بين عاداتنا وعاداتهم" وأخيراً بعد هذه الخيالات المصحوبة بالتذمر استسلمت الى سلطان النوم.

\*\*\*

مضت عشرة أيام على مكوث حسن وأسرته في لندن، كانوا قد أخذوا ثخشان عدة مرات الى وسط لندن وركبوا معها القطار وقطار الأنفاق



والباصات وسيارات الأجرة السوداء التي لها شهرتها بقدر شهرة ساعة البك بن المعروفة في العالم.

كما صحبوحها الى الأسواق الشهيرة، كانت جيني تريد أن ترد لثخشان جميلها الذي غمرته بها في السليمانية، لذلك لم تكن تدخر وسعاً لإستعادها وصحبتها الى ويست مينيستر حيث قصر البرلمان الانكليزي المعروف الذي هو من القصور التاريخية القديمة وفي غاية الروعة والجمال بفنه المعماري المعماري الأصيل بحيث يعتبر تحفة نادرة وآية من آيات الجمال وخاصة أنه كساعة بيك بن يطل هو الآخر على نهر التايمز.

وذات يوم رافقتها الى قصر (بكنكهام بالاس) حيث مقر إقامة الملكة وأسرتها وهي تقع وسط مدينة لندن، وقد تمتعت ثخشان بمشاهدة القصر وخاصة لحظة تبادل الحراس الملكيين المتميزين بزيمهم الأحمر وخوذهم السود، وكان العديد من المواطنين والسياح يصطفون ليروا هذا المنظر الرائع، ويتمتعوا بلحظة تبادل الحرس.

\*\*\*

وذات مساء وقد اجتمع شمل العائلة في بيت أم جيني، كانت ثخشان قد أشتريت هدايا لأمها ولقربياتها بعد أن رتبته استأذنت ودخلت غرفتها لتنام، لكنها أخرجت قطع الأقمشة التي كانت قد أشترتها لأمها للثوب والصاية، ثم أخرجت الهدايا الأخرى من الحقيبة ووضعتها على السرير وبدأت تنظر اليها من جديد كأنها تراها لأول مرة، ومرة أخرى رتبته ونظنتها ثم أعادتها الى الحقيبة، بدأ قلبها ينقبض نوعاً ما لعلها كانت تشتاق لأمها وأبيها وأهلها، رغم أنها كانت تحاول أن تنسى غربتها وتندمج في البيئة الجديدة من خلال نزواتها وجولاتها في الأسواق وزياراتها الى

الأماكن الهامة، وتذكرت الآن كيف أنها دخلت الحمام ذات مرة وبكت خلسة من أعين الآخرين.

وكثيراً ما كانت تحاول أن تهدئ نفسها وتقول:

- كانت جيني، المسكينة على حق حين كانت تاكأبة تظهر عليها أحياناً ومع ذلك لم نكن نقدر لها ذلك، الآن فقط أشعر بما كانت تعانيه فأنا لم يمض على بقائي سوى عشرة أيام في الغربة مع ذلك أشعر بشوق بالغ وحنين طاغ الى أمي وابي وقريباتي وصديقاتي، لست أدري لماذا أنا متعلقة بهم الى هذه الدرجة؟.

"ولماذا يكون تفكيري دائماً منحصراً بهم، ألم أت الى لندن الحلوة العجيبة للاستمتاع؟ ومع هذا فقد أميل الى شوارعنا العوجاء وأرزقتنا المتربة والريح العاتية التي تهب على مدينتنا بعد فترة وأخرى والتي لقسوتها سمين بالريح السوداء".

لم يأتها النوم، رتبت الهدايا ثانية وعادت الى أخيها وزوجته وأهل الزوجة، لقد شعر أخوها بمسحة الحزن التي تظهر عليها فمد يده اليها وبشوق بالغ قال لها:

- حسناً، أختاه ! حدثيني عن جولتك خلال هذا اليوم وما هي الأماكن التي زرتها؟.

فأجابت ثخشان بوجه باسم رداً على استفسار أخيها:

- لقد استمتعت اليوم بجولتي في متحف الشمع لمدام توسو، كان شيئاً غريباً ما رأيته في هذا المتحف، تصوروا حين رأيت الشرطي الواقف على الدرج حسبته شرطياً حقيقاً وظهر لي فيما بعد انه كان تمثالاً، هذا المتحف

بنظري من الأماكن النادرة في العالم، كيف استطاعوا أن يصنعوا كل هذه التماثيل التي تتصور أصحابها أحياء وهم على وشك أن يتحدثوا معك.

\*وضع حسن إحدى يديه على كتف أخته وقال:

متحف مدام توسو مكان ذو شهرة عالمية، أن جميع الشخصيات التي رأيتهم اليوم مصنوعة من الشمع، بقيافتهم وهندامهم كل في قلبه الخاص.

ضربت ثخشان كفاً بكف وقالت مبتسمة:

-هناك تماثيل لأشهر النجوم السينمائية أيضاً.

رفع حسن يده من على كتف أخته وأفرك يده وتلاعب قليلاً بأصبعه ثم قال:

-أي نعم، كما تقولين، هناك تلتقين بمارلين مونرو وبريجيت باردو وكذلك بأشهر الشخصيات منها مدام مركريت تاضر رئيسة وزراء بريطانيا الحالية.

أراد حسن الإتمار في تعداد الشخصيات التي يلتقي الزائر في هذا المتحف بتماثيلها، قاطعته جيني ضاحكة وهي تتحدث معه باللغة الانكليزية قائلة:

-سمعتكما تذكرا مارلين مونرو وبريجيت باردو.

فنهض حسن من مكانه وأدار وجهه نحو جيني مبتسماً وقال:

-كانت ثخشان تتحدث عما شاهدته في متحف مدام توسو من التماثيل تقول أنها ممتعة ومخيقة أيضاً.

ثم أجال حسن يبصره في الحاضرين وقال:

-استعدوا غداً علينا الذهاب الى بيت صديقي سردار الذي ألح كثيراً لهذه الزيارة، ومنذ ثلاثة أيام وتلفوناته لم تنقطع وهو يكرر دعوته لنزوره زيارة

جماعية مؤكداً على وجوب مبيتنا عندهم أيضاً.

فانبرت جيني تقول:

-أوه سردار، أسرته وفيه ومخلصة، وبالمناسبة ان زوجته هي الأخرى أتصلت بي هاتفياً وقالت لي نفس ما قاله زوجها لحسن، ثم واصلت حديثها قائلة:

-حسناً، ماداموا يلحون على الدعوة فسنلبي طلبهم ولكننا لا نبيت عندهم بل نعود بعد العشاء الى بيتنا.

-عزيزتي، ان بيتنا يبعد كثيراً عن بيتهم، لذلك تكون العودة ليلاً منهكة، هذا الى جانب ما قاله لي حول سعة بينهم الجديد الذي لا نجد أية مضايقة في المبيت، بل أنا واثق بأننا سنكون في غاية الراحة.

-لنقرر الذهاب أولاً، وحين لا نجد البيت واسعاً أو ان نومنا هناك يسبب لهم المضايقة فسوف نعود الى بيتنا حتى ولو كان الوقت ليلاً.

فقال حسن في نفسه:

"مهما يكن بيتهم لابد ان يكون أحسن من جحر الكلاب هذا الذي انحشرنا فيه، ان الست تتصورنا الآن وقد حللنا ضيوفاً في البيت الأبيض، ناسية هذا الجحر الضيق عند والدتها الذي لولا الضرورة لما كان بإمكاننا النوم فيه".

كانت ثخشان تخجل أحتراماً لجيني وأمها أن تسأل أباها:

"أخي هل أن زوجة صديقك كردية أم انكليزية؟"

رغم ان ثخشان كانت قد سمعت مراراً اسم سردار من أخيها ومن أمها وخاصة ان أهل سردار كانوا جيراناً لبيت خالتها، ولكنها لم تكن تعرف ما إذا كانت زوجته كردية أم لا؟.

وكان سردار قد قضى سنوات عديدة في لندن، حيث كان ضمن طلبة البعثة العلمية وقد اختير للبعثة لتفوقه الدراسي لذلك فقد كانت دراسته على نفقة

الحكومة العراقية، ومنذ ذلك الحين كان سردار قد تصادق مع حسن وقضيا معاً سنوات عديدة كصديقين حميمين، وحين أنهى حسن دراسته عاد الى بلده، أما سردار فإنه لم يواصل الدراسات العليا وانهمك في التجارة والأعمال الحرة، وأدى عمله هذا الى خلق المشاكل لأسرته التي كانت قد كفلته ليواصل دراسته في الخارج لذلك أجبرت الحكومة العراقية أسرة سردار أن تدفع كامل النفقات التي صرفتها على سردار. وهكذا كان قد مضى على سردار اثنتا عشرة سنة وهو يقيم في لندن وكانت زوجته هي الأخرى من السليمانية وتربطها به صلة قرابة بعيدة.

\*\*\*

في صباح اليوم التالي تحرك حسن ومرافقوه نحو بيت سردار، وكان اليوم هو يوم الأحد الذي هو عطلة رسمية، لذلك لم تكن الشوارع مزدحمة كالأيام الأخرى، وقفت جيني أمام محطة للوقود قريبة من بيتهم واملأت خزان السيارة بالوقود، فيما سارع حسن الى أحد المخازن الكبيرة واشترى باقات من الورود مع علب الشوكولاته والحلويات ومن ثم عاد الى السيارة، وعلمت ثخشان ان هذه الأشياء هي لبيت سردار وهي من متطلبات الزيارات هنا. وصلوا الى بيت سردار واستقبلهم مع زوجته "بهار" وأطفاله الثلاثة استقبلاً حاراً تخلله العناق والقبلات واختلط الكلام الكردي بالانكليزية كانوا ما زالوا أمام الباب حين قالت ثخشان في نفسها:

"وا فرحتاه! البيت كردي خالص فضلاً عن جماله، عدا هذا الاستقبال الحار، وحين وطئت قدماهما داخل البيت شمت رائحة الطبخ الكردي وعادت الى منولوجها الداخلي.

"لقد مللنا الساندويج والماطدونالد والسمك والبطاطة المقلية من كثر ما أكلناها، كم كنت تواقّة الى التمن والبامية".

وكان كما توقّعة، الكردي حين يدقو أصدقاءه الكرد الى أية وليمة لابد من وجود الرز والبامية وهما وردة المائدة وزينتها، وبجانبهما الدولمة كما كان يردد حسن -الكرد والدولمة- والدولمة والكرد.

\*قضوا ذلك النهار بفرح وسرور، وكانت ثخشان تشعر بسعادة بالغة وقد انشرح صدرها، كما أعجبت جداً بالست "بهار" زوجة سردار وبدأتا تتبادلان الأحاديث، ولم تنس أن تساعداه في المطبخ وفي اعداد المائدة وترتيب الأواني والملاعق وما الى ذلك وحين حل المساء، ألحت ثخشان على أن يبقوا في بيت سردار ويبيتوا معهم وبعد مناقشات توصلوا الى حل وسطي، لقد عادت جيني وأطفالها وأمها الى بيت ريتا فيما بقى حسن وThxشان في بيت سردار، وكانت جيني تنوي أن تخلو بأما وأختها لتبحث معهما حول بقاءها في لندن لفترة أطول أم العودة مع زوجها، رغم أنها كانت تحب زوجها كثيراً إلا أنها كانت تتمنى في قرارة نفسها أن يرضى حسن ببقائه في لندن والا يعود الى العراق، فهنا العمل متوفر بالإمكانه البقاء وعدم العودة الى بلده، لأنها حين كانت تستعيد بذاكرتها الى الشهور التي قضتها عندهم كانت تدرك بأنها لم يكن بمقدورها أن تكيّف نفسها مع بيئتها الجديدة، ولم تشعر بأي فرح ولم تذق طعم المساعدة، كان كل همها وتفكيرها لدى أهلها في لندن، لذلك استغلت تلك الليلة لتدخلي بأما وأختها وتفاتحهما في الأمر.

\*\*\*

وفي بيت سردار كان حسن وسردار غارقين في الأحاديث وسرد  
الذكريات والكلام عن الوطن والعمل، فيما كانت ثخشان وبهار تتبادلان  
الحديث فيما بينهما. تحدثت بهار لضيفتها عن الحياة في لندن والحياة  
اليومية وأحداثها وتفكيرها بأهلها أقربائها. لذلك كانت كثيرة هي الأسئلة  
التي كانت توجهها لثخشان.

لقد تألفتا الى درجة كأنهما صديقتان منذ سنوات، وأحياناً كانتا تستلقيان  
على ظهرهما من الضحك خلال سرد النكات التي كانتا تتبادلانها، ومن  
خلال هذه الحوارات قصت بهار لضيفتها أشياء حلوة عن أمها التي كانت  
قد جاءت الى لندن للعلاج وبقيت شهرين عندهم وكم فرحت بها آنذاك وحين  
عادت الى العراق وبعد فترة لم تكن طويلة انتقلت الى رحمة ربها. لقد وجدت  
بهار زميلتها ثخشان كأنها منفس لها لتروي لها ما تريد أن تتحدث به.

وفي صباح اليوم التالي وبعد تناول الفطور خرج حسن مع صديقه سردار  
وبقيت ثخشان في البيت مع ربة البيت، وقبل ان تستيقظ ثخشان من النوم  
كانت بهار قد أوصلت اولادها الى المدرسة وعادت الى البيت وجلستا على  
مائدة الطعام لتناول الفطور، تسلمت ثخشان كوب الشاي من بهار وهي  
تقول ضاحكة:

-تسلمين يا عزيزتي، لقد أخذت أولادك الى المدرسة، وحتما تعرفين  
تسوقين السيارة.

فأجابتها لهار:

-أي نعم.. والشكر الله، تعلمت السياقة وتدربت عليها منذ سنوات لأنني في  
بداية حياتي في لندن صادفتني مضايقات كثيرة نتيجة جهلي بالسياقة مما

سبب لي متاعب الازدحام وحمل الأكياس من الأسواق وإيصال الأولاد الى المدارس أو الى الطبيب.

وتنفست بهار قليلاً لتواصل حديثها:

- لو تحدثت لك عن الأحداث التي رأيتها هنا ومرت بي لابد أنها ستطول، أنت لاتعرفين مدى المشقات التي عانيتها في هذه المدينة وما أثرت على الغربية والمنفى وأضاف تقول:

حين وصلت الى لندن كان سامان وسارا صغيرين، سارا في الرابعة من عمرها وسامان كان قد أكمل الثانية، أما سرود فهو من مواليد لندن.

أجل حين وصلت الى لندن كانت أحوالي مرتبكة، كان على أن أؤدي كل هذه الأعمال لأن سردار لم يكن بإمكانه ترك عمله، لذلك لم يكن بمقدوره معاونتي، عدا ذلك فهو كسول الى حد كبير ومهمل، لذا فقد كانت تأدية كل هذه الأعمال وضعت تلقائياً على عاتقي، وأنا كما تعلمين لم أتعود على ذلك في بلدي هناك حين تقول احدانا "أه! " يسارع عدد من الأهل والأقرباء لمعاونتها، أما هنا فلا يسأل أحد عن الآخر، ولا يهتم أي فرد بشأن الآخرين، وسردار لأنه كان وحيد أبويه، أجبره أبواه على الزواج المبكر لذا فقد كان كلانا عديم التجربة وغير ناضبين حين تزوجنا، اضطررتني الظروف على البقاء في السليمانية وأخيراً وبعد حوالي أربع سنوات من ولادة طفلي سارا استطعت للحاق به في بلاد الضباب. ولا تسأليني عن المشاق التي صادفتني في السفر بوجود هذين الطفلين، عدا أنني لم أكن أجيد الانكليزية سوى هذه الكلمات القليلة التي حفظناها في المدرسة من أمثال (ذس از ئي بوك - هذا هو الكتاب)، مع هذا الجهل باللغة كان عليّ تعلم السياقة، وقد



حالفني الحظ أستطعت التدرّب على السياقة ونجحت في الإختبار، ومنذ ذلك الحين وأنا أسوق بمنتهى الحرية وأؤدي كل أعمالى.  
فأظهرت ثخشان مرة أخرى حبها وتقديرها لها بعد سماعها هذه النبذة من حياتها وقالت:

-تسلمين من كل أذى يا حبيبتي والله يكون في عونك على كل ما صادفتك من متاعب الحياة، ورغم ذلك لا بد أن هناك من يحسدك عندنا ويقول:  
"إنها وصلت الى لندن، وهي تتمتع بحياة النعيم".  
وهنا سألتها بهار عن جيني وهل أنها تكيفت في السليمانية وانها تشعر بالسرور هناك وكيف تقضي نهارها؟.

فشرحت لها ثخشان الظروف التي تحياها جيني، وكيف أنها مازالت تتوق الى لندن، وتتذمر أحياناً بحيث يشعر من حولها انها ليست سعيدة عندنا فهي دائمة الكآبة، واستطردت تقول:

-ولكني أحبها كثيراً، يخيل الى ان حبي يمتزج بالعطف والشفقة هذا ما يجعلني أن أصد أهلي حين يريدون معاتبته او الحديث عنها بالسوء.  
-إذاً عليك ان تعرفي بأنه رغم كل هذه السنوات التي عشتها هنا ورغم توفر كل ما تريده أية إمراة في الحياة، مازالت عيناى ترنون الى بلدنا.  
واصلت بهار الكلام وهي تضحك:

تصوري حين أرى إمراة ملتفتة بالعباءة السوداء أشعر بسرور يدخل الى قلبي، رغم ان هذه النسوة الملتفات بالعباءات السودلسن كريدات بل هن سعوديات أو كويتيات أو خليجيات، ومع ذلك فقد أصبحن الآن أوربيات أنيقات. وهناك شيء آخر أود ان تعرفيه، حين يقبل الصيف أينما تذهبين

في البلدان الأوروبية يصادفك أهل الدشاديش ومعهم زوجاتهم الملتفات بالعباءات السود وتتبعهن خادمات فليبينيات.

كثيراً ما أفكر وأقول: "إن العديد من هؤلاء الذين أراهم الآن في هذه المظاهر كانوا يعيشون حالة البداوة بعيدين عن الحضارة، ومع ذلك فهم يعيشون الآن في النعيم بسبب النفط ولهم دولهم الخاصة، أما نحن الكرد الخيرات المتوفرة في بلدنا فنحن محرومون منها ولا نملك شيئاً".

تسمرت بهار وقالت:

- حين أرى تلك النسوة المحجبات وهن ينزلن من أفخم وأرشق السيارات أقارن حياتهن بحياة المرأة التي تكد وتكدح عندنا في القرى والأرياف وتعيش حالة الفقر والعوز، مع كل ما نملك من أرض وبساتين ومعادن وثروات طبيعية.

واستمرت في سرد حديثها لتقول:

- إن مثل هذه المناظر تجذب النظر هنا، ولكن لا يذهب بك الخيال بعيداً، إن الناس لا تنظر إلى تلك العجائز بل تنظر باستغراب واندهاش إلى سيارات المرسيديس من آخر الطراز التي يمتلكونها.

فضحكت نخشان وقالت: كما يقول الممثل المسرحي أسطه علي عندنا في إحدى مسرحياته "عيش وشوف".

نظرت بهار إلى ساعتها اليدوية وقالت لضيفتها:

- هل تودين مرافقتي لإعادة الأطفال من مدارسهم؟. لأنني مضطرة أن أصل مبكراً حتى أضمن مكاناً أركن فيه سيارتي، لأنه عندما يخرج الأولاد من المدرسة تصطف السيارات بأعداد كبيرة ويزداد الزحام وبشق النفس يجد الإنسان مكاناً يركن فيه سيارته.

فردت عليها ثخشان قائلة:

- بكل سرور يا عزيزتي، أرغب في مرافقتك، وأجدها فرصة لأرى مدارس لندن وتلامذتها.

ركبت معها السيارة الى أن وصلتا قرب باب المدرسة، وركنت بهار السيارة ونزلتا منها لتتمشيا أمام المدرسة ثم وصلت الأمهات الواحدة تلو الأخرى وبدأت كل واحدة تتحدث مع زميلة أو صديقة لها وكان لدى بعضهن عربة أطفال أيضاً حيث لم يكن بإمكانهن ترك الأطفال الرضع دون رعاية، وخاصة ان من بينهم من هو حديث الولادة.

احدهن جذبت نظر ثخشان وقالت:

- مسكينة.. أتصورها ثيباً وطفلها حديث الولادة لأن وجهها ما زال شاحباً وهي صغيرة السن أيضاً.

فردت عليها بهار كأنها خبيرة:

- أعتقد أنك تحسبن نساء لندن كنسوتنا اللائي يبقين في الفراش بعد الولادة لأيام وأسابيع، وتتنافس قريباتها في صنع الحلوى اللذيذ لها وطعامها ثم يقمن لمولودها الحفل الأسبوعي، قبل أيام رأيت امرأة شابة في السوبر ماركيث كانت قد خرجت من مستشفى الولادة قبل يومين مع ذلك فقد اضطرت القيام بالتسوق بنفسها، ولكن من حسن الحظ ان أكثرهن يملكن سياراتهن، كذلك الحكومة تبنى أقصى التعاون لأمثال هؤلاء النساء، مراجعاتهن للمستشفيات والأدوية مجانية، والطفل تخصص له أسبوعيته منذ ولادته كما يزود بالحليب والفيتامين، ولو أن بعض الأمهات لايعطين الحليب لأطفالهن بل يرضعنهم من اثدائهن لأن حليب الأم كما تعلمين أجود وأنفع للرضيع.

\*كان بعض النسوة اللاتي حضرن لاستصحاب أولادهن لم يكن وحدهن بل كان معهن كلاب، حيث كانت كل واحدة تسحب كلبها التي كان رباطها مربوطاً بعربة طفلها وسرعان ما تذكرت ثخشان كلب أم جيني لذلك خاطبت بهار قائلة:

-الظاهر ان الانكليز يحبون الكلاب، ألا ترين كيف يقبلون هذه الكلاب النجسة ويلامسون وجوهها، انظري الى هذه المرأة كيف ن كلبها يلحق يد طفلها.

فضحكت بهار وقالت:

-اذا التقيت في الطريق أو في الحدائق والمتنزهات امرأة تستصحب كلبها ولم تلاحظي كلبه او تداعبيه يتصورونك متخلفة او قاسية القلب، ثم أضافت تقول:

وأود ان تعلمي ان الكثيرات منهن حين يأخذن كلابهن معهن يبعين التنزه من جهة أخرى يردن أن تفرع الكلاب ما في امعائها في الطرقات العامة أو أي مكان بشرط ألا يتم ذلك في البيت حتى لايتوسخ، وبشيء من التهكم واصلت كلامها قائلة:

هنا تعتبر هذه الحالة حضارية فيما ينظرون الى بعض عاداتنا كأننا متوحشون ومتخلفون . لاتتصورين مدى القذارات التي تتركها الكلاب في المتنزهات والحدائق والطراقات، مع ذلك فلندن خير من باريس من هذه الناحية رغم ان باريس تعتبر عروسة العالم.

في باريس على الانسان ان يمشي بحذر في تلك الأماكن والاسواق خوفاً من ان تتوسخ أحذيته، مع ذلك فالحكومة لا تستطيع ان تفعل شيئاً ولا تريد

أن تمنع الناس من ممارسة ما تسمى بحريتهم، أتعرفين لماذا؟ ان كل ذلك يأتي خوفاً من فقدان أصواتهم في الانتخابات.

في لندن هناك بعض التحزيرات في بعض الأرتقة والشوارع وتعليمات للمواطنين والتهديد بالعقوبات لكل من يسبب في ترك القذارات، ولكن في الحقيقة لا يهتم أحد بهذه التهديدات.

بعد هذه الانتقادات أرادت بهار أن تغير مجرى الحديث فقالت:

-ولكن لا ينكر أحد بأن الانكليز قوم طيبون وعطوفون، وكما نقول عندنا "في كل مكان هناك الصالح وهناك الطالح"، وعلى سبيل المثال لو سألت رجلاً انكليزيا أين يقع البيت الفلاني أو الشارع الفلاني، لا يترك على قارعة الطريق بل يصاحبك الى أن يجد لك المكان أو يشرح لك خارطة المكان بشكل يؤدي بك الى المكان المنشود. من خلال تجربني وجدت الانكليز افضل من بقية الأوروبيين فالألمان والفرنسيون تراهم عبوسين، لو قلت لأحدهم أنك ضائعة ولا تجدين المكان الذي تقصدينه لا تسمعين منهم وثمة شيء مميز عندهم، هو اهتمامهم بأولادهم وها انت ترين كيف تأتي الأمهات يومياً بهم وكيف يحضرن ثانية لاعادتهم وهذا يسري على الأطفال من سن السادسة حتى الثانية عشرة وما فوق.

فقالت ثخشان:

إذا ما يقال عن عدم اهتمام الأمهات هنا بأولادهن غير صحيح، وها أنا ارى بأمر عيني كل هذه الأمهات اللائي يتقاطرن يومياً لاستصحاب أولادهن وأحياناً أرى الأزدحام أمام هذه المدرسة كأنه مظاهرة. وعلى سبيل المثال انظري الى هذه المرأة الحامل التي تتسارع مع صاحبته للوصول الى ما تريد.

فقاطعتها بهار قائلة:

—هراء ما يقولونه عن عدم اهتمام الأمهات الأوربيات بأطفالهن، انا من خلال تجربتي وجدتهن حريصات على هذه القطوس التي رأيتها صيفاً وشتاءً حتى في الأيام الممطرة ةأثناء سقوط الثلج، وإذا صادف ان مرضت احداهن فتكلف أمها أو حماتها أو أية واحدة من قريباتها للقيام بذلك بدلاً منها.

أجالت بهار ببصرها بين الحاضرات باحثة عن امرأة لتتحدث عنها لزميلتها ثم وجهت كلامها الى ثخشان وقالت:

—ان التي أبحث عنها عجوز بائسة تعودت على رؤيتها منذ عام وهي تبلغ السبعين من عمرها تأتي كل يوم بصحبة طفل لايتجاوز السادسة من عمره وتدفع عربة أخرى في داخلها طفل في الثانية من عمره، وتعود ثانية بنفس الوضعية لمصاحبة الطفل، ةأحياناً أرى انتظارها يطول والطفل الجالس في العربة يمل فينزل من العربة ويبدأ بالمشي على أطراف أصابع رجليه كأنه راقص الباليه والجدة العجوزة تركض وراءه وتلهث. في الحقيقة أعطف عليها كثيراً، لأن كل مظاهرها يدل على البؤس مع ان ملابسها يدل على ان وضعها المالي على ما يرام، ولكن اتصور ان عندها مشكلة، أحياناً أخمن بأن هذين الطفلين هما حفيدها من أبنها وان كنتها انفصلت عن زوجها ثم أعود الى نفسي وأقول: لا لأن الطفل هنا حسب قوانين بريطانيا يسلم الى أمه اللهم الا اذا تزوجت ثانية أو اثبت القضاء بإنها سيئة السلوك ولا تصلح لتربية الطفل، آنذاك يعطى الأطفال الى الأب أو الجد والجدة ثم أفكر وأقول لعلهما طفلي بنتها وهي تعمل ولا تستطيع القيام بهذا الدور فكلفت أمها بذلك، وهنا أيضا تبرز لي حقيقة أخرى وهي ان المرأة المرضعة تجاز لتربية طفلها. وبينما هما يتحاوران بدأ الأطفال يخرجون من المدرسة وظهرت

العجوز التي كانت موضوع حديثهما وكانت تدفع العربة كالمعتاد. وهنا كان اطفال بهاذا قد وصلوا أيضاً وركبوا جميعاً السيارة وفي طريقهم الى البيت قالت ثخشان:

-أنا أهنئك على ذكائك أراك تسوقين في هذه الأزقة والشوارع دون أن تخطئي الطريق او تضيعي، قسماً لو كنت في مكانك لكنت قد وضعت حتماً لأن بيوت لندن وبنياتها كلها متشابهة.

ضحكت بهار قائلة:

-أنتك تزوين لندن لأول مرة، لو بقيت فترة طويلة لابد وأنتك تتعلمين مثلي وثم لا تنسي أنني أعيش هنا منذ سنوات. نسيت أن أقول لك بأن هذه المدارس تضم أطالاً بين الخامسة الى الثانية عشرة وبعدها يتحولون الى مدارس أخرى والتي تسمى عندنا في بلدنا، بالمتوسطة أو الاعدادية وأنتك ترين "سارا" التي تجاوزت الثانية عشرة تداوم في مدرسة أخرى وعلينا أن نذهب الى مدرستها أيضاً لأستصحابها، أنها بالمناسبة مضى على تركها هذه المدرسة عامان.

وكانت بهار تسوق السيارة بعناية وتروي الأحداث لزميلتها وقالت:

-منذ سنوات وأنا أوءدي هذا الواجب اليومي، رأيت مئات الأطفال يأتون ويكبرون ويتقلون الى مدارس اخرى، لقد رأيت الفصول الأربعة لسنوات وسنوات، أحياناً أضحك حين أرى زميلات وزملاء "سارا" الذين كانوا صغاراً وقد بلغوا لأن الرابعة عشرة أو السادسة عشرة أي أنهم في سن النضج، الأحداث التي مرت بي والمناظر اليومية التي شاهدها كثيرة ومليئة بالعجائب، فعلى سبيل المثال رأيت امرأة قبل عامين كانت تأتي بولدها الى المدرسة وهي حامل، في العام الماضي رأيت وليدها الجديد في العربة وبعد

سنوات لا بد ان أراها تأخذ بيده وتصحبه الى المدرسة معها. هكذا حال الدنيا جيل يولد وجيل يكبر وجيل يغادر الدنيا ان الدنيا كالفلك الدوار. واستمرت في حديثها تقول: خلال كل هذه السنوات التي حضرت فيها أمام هذه المدرسة وكل هؤلاء النسوة اللاتي رأيتهن، هناك من لا تذكر حتى صورتها ولكن بعضهن لفتن نظري الى درجة لا أنساهن. فقالت ثخشان:

- لماذا لا تنسين تلك الأمهات لا بد ان وراءهن حكايات. فضحكت بهار وقالت:

- اذاً قولي حديثي للصباح. وقالت ثخشان:

- لقد جعلتني تواقه الى سماع حكاياتهن وسأنتظر الجواب منك حتى لو أدت بي الحال الى عدم العودة الى بيت أم جيني. وردت بهار تقول:

- حسناً ان مدرسة سارا تبعد من هنا قليلاً نقضي مسافة الطريق بالحديث. وقاطعها ابنها سود يقول:

- اي نعم سوف يستغرق وصولنا حوالي ربع ساعة. فقالت أمه:

صحيح، ولكن لو أخرجنا أعضاء الترافيك والزحام الشديد أكثر من اللزوم فسيستغرق مشوارنا أكثر من نصف ساعة، رغم أن المدرسة قريبة، ولكن فترة خروج التلاميذ من مدارسهم في مثل هذا الوقت تسبب الزحام وبالتالي علينا التوقف في المحطات كثيراً، فها أنت ترين شرطة المرور منهمكة في مساعدة التلاميذ على العبور.



وفيما هي تسوق السيارة تذكرت ما قالتها خُششان حول الإستئذان منها  
لعودتها الى بيت أم جيني فأرادت أن تشوقها وتحثها على البقاء في بيتها  
وقالت:

-لن أسمح لك بالعودة الى بيت أم جيني إلا بعد مرور أسبوع على الأقل،  
أنت هدية من السماء بعثها الله لي.

فتدخل ابناها الجالسان في المعقد الخلفي في السيارة وقالا معاً:

-دادة خُششان - نرجو ان تسمعي كلام ماما، وأن تبقى معنا فترة  
أخرى:

فأجابت خُششان تقول:

-في الحقيقة انا سعيدة جداً بالتعرف عليكم، ومنذ ان التقيتكم يخيل الى  
كأني عدت الى السليميلية وأنا موجودة مع أهلي. سأبقى معكم بشرط وهو  
أن تحدثني ماما بهار عن كل شيء يتعلق بهذه المدينة، رجالها ونشائها  
والحياة الاجتماعية وغيرها، وإلا سأعود مساء هذا يوم مع أخي حسن الى  
بيت ام جيني.

وعرجت السيارة نحو الشارع المؤدي الى مدرسة (سارا)، فيما كانت تواصل  
بهار السياقة قالت:

-على العين يا عزيزتي، سأحدثك عن كل ما ترغيبين فيه، ولكن نؤجل ذلك  
الى وقت نكون فيه متفرغين كلياً.

\*\*\*

في الليل كانت خُششان وبهار جالستين متقابلتين تشاهدان برامج التلفزيون  
وأمام كل منهما كوب الشاي، بعد أن غادرهما حسن عائداً الى زوجته  
وطفليه في بيت حماته، وأطفال بهار كانوا قد دخلوا غرف نومهم، وبرت

بهار بوعدها لثخشان وشرعت تحدثها عن الأمهات اللواتي التقت بهن واللائي كن ملفات لنظرها الى درجة بقيت الإنطباعات مخزونة في ذاكرتها، ارتشفت بهار رشفة من الشاي وعاودت الحديث لتقول: أعتقد أنه من الضروري أن يحتفظ الإنسان بانطباعاته عن الناس الذين يلتقي بهم، وياحبذا لو سجلها في مذكراته أيضاً، أنا في حدود المحيط الذي أعيش فيه ومن خلال تعريفي عاى هؤلاء النسوة اللائي قابلتهن أمام المدرسة تولدت لدي أفكار وانطباعات عديدة عنهن، فتصوري ماذا يوجد في محيط أكبر وقولي، ماذا يوجد في هذا العالم؟ يا ترى كم هو عدد الأشرار والجناة وكم هو عدد الطيبين الخيرين الصالحين.

وبعد قليل من التفكير عادت بهار الى الحديث موجهة كلامها الى زميلتها: سأحدثك عن امرأة حليقة الرأس تعيش في الزقاق القريب من عندنا، هي في الأربعين من عمرها متوسطة القامة وجسمها أيضاً يتوسط النحافة والسمنة وعليها مسحة من الجمال، منذ سنوات وأنا أراها تحلق رأسها، والشيء الغريب هو أنها تلبس صيفاً وشتاءً، في البرد والحر ثوباً قصيراً فوق الركبة وأحياناً فوق فخذاها، وبين فترة وأخرى كانت تستبدل الثوب بارتداء بنطلون الشورت وما أن تظهر الشمس قليلاً ويغير الجو نحو تخفيف حدة البرد حتى تعود لتلبس قطعة قماش رقيقة بحمالتين يظهر ظهرها والجزء الأكبر من صدرها عاريين، ولولا حرصها على الألتزام القانوني لكنت متأكدة بأنها كانت تتجول عارية لأنها الظاهر تتباهي بجسمها النموذجي.

فقهقتها ثخشان، فيما واصلت بهار كلامها:

رغم أنني أخشي ان تركبني هذه الليلة عفاريت النساء اللواتي أتحدث عنهن ولكنني عازمة على أن أروي لك ما أعرفه عنهن بصدق ودون أية اضافة.

الآن اسمحي لي أن أتحدث عن امرأة أخرى جذبت نظري، هي امرأة شابة، لطيفة، حسنة المظهر، طويلة القامة، شقراء، كانت تستصحب يوماً بنيتها لها كانتا توأمتين وكانهما تفاحة قسمت الى نصفين والغريب أنهما كانتا تشبهان أمهما الى درجة كبيرة جداً.

وأول ما كانت تظهر كان فمها يتحرك، بحيث لم نرها يوماً لا تمضغ شيئاً مما تناوله، وذات يوم راقبتها في طريقي الى المدرسة رأيتها وقد نزلت الى الدكان الذي على الناصية واشترت ثلاث قطع من الشوكولاته سرعان ما وضعت احداها في فمها وحين وصلت المدرسة وخرجت بنتاها استقبلتهما بشوق وحنان وطبعت قبلات على خديهما ثم تناولت كل واحدة منهما قطعة الشوكولاته، وبدأت ثلاثتهن بالعودة الى بيتهن ماشيات كعادتهن كل يوم. كان منظرهن لطيفاً وكانهن باقة ورد ضاحكة.

وبعد برهة قصيرة عادت بهار الى كلام وقالت:

-والمرأة الثالثة كانت لم تتخط الأربعين متوسطة الجمال، محتشمة الملبس وذات شعر قصير بلون الحناء، راقبتها لمدة أربع سنوات لم أر أي تغيير في شعرها وبقي قصيراً كما كان، كما لم يتغير شكل المرأة، فهي دائمة العبوس وتظهر كأنها غاضبة، كنت أراها أحياناً تتحدث مع زميلاتهما الأمهات ولكن دون أن تظهر ملامح أي ابتسامة على شفثيها، وكانت تلبس النظارات دائماً، والغريب أنها كانت تلبس بدلة بيضاء صيفاً وشتاءً لم يكن يروق لي منظرها في الشتاء وهي ترتدي البياض وأحياناً كانت تثرني رغم أنني لم أحداها قط.

وبدأت بهار تتنأب ثم ضحكت وقالت:

-قومي معي لننام، لنؤجل الحديث عن الأخريات الى الغد.

كانت ثخشان سعيدة باطلاعها أوصاف هذه النسوة، الذي أعتبرته نوعاً من الترانيم التي كانت تسمعها في صغرها قبل النوم من أمها وخالتها، لذلك ضغطت على نفسها لتقول:

"..أرجوك.. واصلي الحديث، لأن غداً كما أخبرتني سيأتيكم ضيوف وسيأتي حسن أيضاً ليعيدني الى بيت حماته، لأن موعد رجوعنا الى الوطن بات قريباً وعلينا التهيؤ لذلك. وقد أخبرتني اليوم جيني هاتفياً بأنها ستبقى مع الطفلين فترة الصيف ولا تعود إلا بعد انتهاء العطلة الصيفية. غير أن حسن عليه العودة الى أعماله وأنا بدوري بدأت أحن الى الأهل".

ضحكت بهار وقالت:

— رغم أنني أود أن تبقي عندنا أكثر من هذه الفترة القصيرة، ولكن ما باليد حلية سيأتي حسن ويقطفك كوردة من حديقتي الخاصة، وحتى لاتصبح غصة في حلقي ولا أندم عليه، سأحدثك عن إمرأتين أخريين بقدر ما يسبح لنا الوقت هذه الليلة. شربت جرعة من الماء وقالت:

"كانت هناك امرأة قميئة كأنها صبية في العاشرة من عمرها، قامتها قصيرة ساقاها غليظتان، تنتعل حذاءً ذا كعب عالي، وكانت تبرز نهديهما بشيء صارخ، في الحقيقة كان نهداها جميلين وجذابين جداً، كانت تلبس تنورة ميني جوب وأحياناً ميكروجوب ورغم القصر فقد كانت ضيقة بحيث تخطو بصعوبة، وكنت أراها مرة شعرها أحمر وفي يوم آخر تصبغه أصفر، كان شعرها طويلاً ناعماً كالكشمش وكأنك ترين مظلة على رأسها، وكثيراً ما كانت تحرك سلسلة مفاتيح سيارتها، والنساء اللائي كانت تقف عندهن وتحادثهن كن على شاكلتها من حيث الحركة وعدم الاحتشام ولكنها في الحقيقة كانت هي دائماً تنصدر الأولوية في التبرج.

كثيراً ما كنت أفكر بأطفالها الحلوين الهادئين وأقول في نفسي، كيف تربى هذه المرأة الحركة المتبرجة هؤلاء الأطفال وكيف تحافظ عليهم؟، وهي كما هي عليها دائماً ترينها كأنها ترقص، صحيح نحن نعيش في بلد حضاري والحرية متوفرة للجميع ولكن هذه المرأة تفرط كثيراً بالحرية التي تتمتع بها بحيث كانت تختلف عن مئات الأمهات اللاتي التقيتهن، فيما عدا تلك التي تحدث لك عنها بادية الأمر.

ارتسمت ضحكة مفاجئة على شفتي بهار وهي تقول:

-رغم أنني لا بد أن أتحمل خطيئتها ولكن الذنب ذنبها فقد جعلت نفسها مسخرة، بدلاً من أن تستدر عطف الآخرين جذبت النقمة لنفسها.  
هي امرأة في حوالي الأربعين، متوسطة القامة، ضعيفة نوعاً ما ملابسها مرتبة الى حد معقول، يظهر للناظر أنها محترمة، وذات يوم رأيناها وقد تورم أنفها وظهر عليه ما يشبه الجرح أو انه احتراق وعليه الكريم أو المرهم وفوقه اللاصق. كان شعرها أصفر مجعد وقصير، بشرتها بيضاء، ولكن بياضها كان مائلاً الى السمرة كأنه تغير بسبب حرارة الشمس، وحين كانت تمشي كانت تتبختر بغنج ودلال ولا تعير أي اهتمام لمن حولها، كانت تقلد مارلين مونرو في مشيتها وتتصور الآخرين كأنهم قردة.

لقد استغربت جداً من تكبرها ومن مشيتها المتصنعة.

ولم تستمر في مواصلة الحديث بل مدت يدها الى ثخشان وقالت:

-قومي لنام.. لقد تأخرنا، وسوف أحاول أن أروي لك ما تبقى في جعبتي اثناء النهار وقبل أن نودعك، رغم أنني نسيت بعضاً منها. فتبادلنا تحية المساء وكل واحدة منهما دخلت الى غرفة نومها واستسلمتا الى النوم.

\*\*\*

وفي صباح اليوم التالي بعد انجاز العمل البيتي وقبيل موعد انتهاء دوام المدارس خرجت بهار مع ثخشان متوجهتين الى مدرسة الأطفال كالعادة، حين وصلتأ أمام المدرسة ابتمست ثخشان وقالت لصاحبتهأ:

-تذكرت شيئاً، كنت بالأمس تنوين الحديث عن أم أخرى لفتت نظرك ولكني في الحقيقة لم أفهم شيئاً لضجيج المكنسة وصوت الغسالة وغاسلة المواعين، فيما كانت بهار تركن سيارتها قالت وهي تبتمس:

"أشرت الى أصوات المكائن ولكنك نسيت ضجيج ماكنة عجن الكبة، الآن كما تعلمين نحن في زمن التكنولوجيا فصخب المكائن وضجيج تلك الآلات التي اصبحت لازمة لكل البيوت هما من المزعجات ولكن ما باليد حليلة، والآن سأحدثك عن إمرةأ - سبحان الله- لقد جعلت من نفسها مسخرة حقيقة، لست أدري مالذي جعلها تعمل بنفسها هكذا.

كانت هي إمرةأ شابة لها طفل في العاشرة وأخر أصغر منه وهي ذات جسم ناعم بيضاء، لكن وجهها شاحب، حليلة الرأس كأنها جندي، لذلك كان رأسها يظهر صغيراً، ترتدي بنطلون جينز مع قمصلة عسكرية، والغريب ان ولديها كانا يرتديان قمصتتين شبيهتين بقمصلتها، وهما حلقة الرأس أيضاً الظاهر أن ثلاثتهم كانوا قد اشترتوا القمصلات في محل واحد ولكن بثلاثة أحجام مختلفة.

حين كنت أراها وهي بهذا الهزال أقول في نفسي لو سدّ أي واحد انفها لثانية واحدة لا بد أنها تختنق، ولكن مع ذلك فقد كانت نشطة، كانت تأخذ بأيدي طفليها ويسيرون نحو البيت، كان ابنها البكر زميل سارا، لذلك دعوانه ذات مرة لعيد ميلاد سارا التي كانت قد دعت ابنا وبنات صفها.

وحين كنت أتأمل الولد كنت أضحك في سري وأقول: ليتني أستطيع أن أسأله: لماذا أنتم الثلاثة شبيهون الى درجة نعتبركم ثلاثة اخوة.

ضحكت نخشان وقالت:

-وأنت ماشاء الله لك ذاكرة قوية حيث تحتفظين بكل هذه الأوصاف والإنطباعات عن الأمهات اللواتي التقيتهن خلال هذه السنوات.

وضحكت بهار أيضاً وأجابتها:

-انك تشجعيني بمديحك هذا ان أروي لك ما تبقى في جعبتي وعلى قدر ما يسمح لنا به الوقت:

"كانت هنالك إمراة زنجية ولكنها ذات ملامح مقبولة، شعرها كغيرها من الزنجيات كثيف الى درجة كنت أتصورها مبتلاة به، كانت تتمنى ان يكون شعرها كشعر الأخريات حتى تمشطه على هواها، لذلك فبدلاً من أن ترتبه كانت تخربه حيث كانت قد قسمت شعرها الى ثلاثة أقسام وكانت قد صبغت جانبيه بلون أصفر برتقالي أما الوسط فقد تركته أسود، لذلك كان منظرها غريباً، حين رأيته لأول مرة خلت أنها أرتدت طاقية بثلاث ألوان، وحين أقتربت مني عرفت ان ما كنت أتصوره طاقية ما هو إلا شعرها، هناك مثل كردي يقول:

"إذا غضب الله على النملة خلق لها جناحين"، وهذا المثل ينطبق بالكامل على هذه المرأة البائسة، فشعرها أسود ومجعد ومشعث فجاءت كما يقول المثل بدلاً من أن تكحله عمته، حيث لونتته بهذا اللون وقسمته الى هذه الأقسام.

حين كانت بهار تتحدث لزميلتها عن تلك المرأة كانت تضحك عندما كانت صورة المرأة تتراءى لها وانتقلت عدوى الضحك الى صاحبيتها.

أخذت بهار نفساً عميقاً وقالت:

" حمد الله، اليوم هو آخر أيام الدراسة، ومنذ الغد تبدأ عطلة المدارس ورتاح لفترة على الأقل.

وباندهاش وحيرة قالت ثخشان:

-لقد سبق وان بينت لك استغرابي من موضوع الدراسة في لندن، فكما تعلمين بدأت العطلة عندنا منذ مدة ليست بالقصيرة، وهنا كما تقولين ستبدأ العطلة غداً.

فردت عليها بهار قائلة:

-في الحقيقة ان العطلة بدأت قبل الآن في بلدان أوروبية أخرى كفرنسا والسويد وغيرهما، ولكن هنا مازالوا متعلقين بالتراث والعادات القديمة، وإذا أرادوا أن يغيروا شيئاً من تراث الماضي وذلك باجراء بعض التعديلات في القانون أو تغيير بعض من التقاليد التي لا تتلاءم وروح العصر، ستقوم القائمة، ويصبح هنا الموضوع حديث المجالس والصحف الى أن يحسم البرلمان الأمر فإما أن يوافق على التعديل أو يقرر بقاءه على وضعه السابق.

وبالمناسبة فالطلبة هنا اشضاً ميالون للعطلة ومتذمرون من هذا الدوام الطويل، ألا ترينهم حين يخرجون بينهم من يترنح من الملل، رغم ان الجو هنا ممطر دائماً ولكن في فصل الصيف سيتغير الجو ويعتدل الهواء وأحياناً تزداد الحرارة، هنا الوضع يختلف عما عليه عندنا، فوسائل التبريد غير مستخدمة عموماً حتى المراوح قلما تستعمل في البيوت وكل موسم الحرفي لندن لا يتجاوز شهراً واحداً، لأن بقية شهور السنة برد وغيوم وأمطار وضباب.



فعلقت ثخشان على كلام زميلتها وقالت:

"على هذا كلما تطلع الشمس ويعتدل الجو أرى الناس يتصيفون وينزعون الملابس الثقيلة ويرتدون الملابس الخفيفة وهم فرحون سعداء.

\*\*\*

مضى على عودة ثخشان الى بيت حماة أخيها ثلاثة أيام شعرتخلالها أن جيني مكتئبة، الظاهر انه حصل خلاف أو سوء تفاهم بينها وبين زوجها بعد أن عرضت هي وأمها عليه أن يترك عمله في بلده ويبقى هنا في لندن معهم، رغم انها كما عملت فيما بعد لم يأت هذا العرض من جانب حماته وزوجته مباشرة أو بشكل مكشوف، ولكنها افهمته انهما ستكونان سعيدتين بوجوده معهما وهذا ما أدى الى أن يثور حسن ويرد عليهما بخشونة:

-انكما لن تريا ذلك حتى في حلمكما، أنا كان كل همي أن أكمل دراستي لأعود الى بلدي، وأنتم تعرفون ذلك حتى قبل زواجي من "جيني"، وأنتم رضيتم بذلك والآن ما هذا التراجع؟ وما هي هذه الحجج الواهية؟ أنا لن أعود الى انكلترا ولن اعمل فيها يوميّ واحداً، والذي يريد أن يرجع هو حر فيما يقرر.

وكان حسن قد أكمل كلامه بضحكة ممزوجة بالسخرية:

"أنا أعود الى لندن.. هذا محال، أنتم نسيتم بأني من كثرة اشتياقي الى بلدي وعادات أهلي كان أصدقائي قد سموا شقتي الصغيرة بأسم إحدى محلات مدينتي".

وهكذا بدأ حسن بشراء الهدايا للأهل والأقرباء باستشارة أخته ثخشان، ولم يبق على موعد سفرهما سوى يومين، وكانت جيني تعرف زوجها حق المعرفة وتعرف انه لن يتنازل عن قراره الذي يتخذه، كما كانت تحبه

وتقدره فضلاً عن معرفتها بأموره المالية الجديدة، لذلك اتفقت معه على بقائها مع طفلها لفترة العطلة فقط، وقد رضى حسن بذلك ولم يشأ أن يغلق جميع الأبواب رغم حبه الكبير لطفليه ومدى انزعاجه ببعاده عنهما، وحين كان حسن يفكر في هذه النقطة كان غضبه وحقدّه يزدادان على جيبي وأمها اللتين بحسب تحليل حسن تستغلان نقطة ضعفه التي تكمن في عدم استطاعته فراق ولديه، لذلك هما التجأتا الى استعمال هذا السلاح. وأخيراً رضخ حسن للأمر الواقع وقال سأعود الى بلدي مع أختي وتبقى جيبي والطفلان مع ريتا ريثما تنتهي العطلة وعندئذ تعود جيبي مع الطفلين وتستصحب أمها أيضاً لتقضي فترة عندنا. وكانت الفكرة قد نالت الاستحسان لدى جيبي وأمها، والأخيرة كانت ترغب في الاطلاع على معيشة ابنتها في الغربية عن كثب.

\*\*\*

عاد حسن وٹخشان الى السلیمانية، ورغم فرح آتہ خان بعودة ابنها وابنتها الا أن قلبها كان يحن الى جيبي وطفليها، وكانت تريد أن تعرف القصة كما هي، كانت تخشى ان يكون هناك افتراق او خصام أو شيء من هذا القبيل فكانت تلح على ابنتها: ماذا قالت جيبي؟ ماذا قالت أمها وأختها؟ هل بكى الطفلان حين تركتاهما هناك؟ ألم ينزعجا؟.

بعد أن أمطرت ٹخشان بهذه الأسئلة كانت تتوجه نحو زوجها الى درجة أنها كانت تتشاجر معه، وهو لاذنب له في الأمر، ولكنه مع ذلك كان يعطف عليها ويعرف مدى حباها لحفيديها ويقول لها:

- يا أم حسن، يجب أن نعطي الحق لجيبي، فهي أيضاً تحب أهلها وبلدها فمادامت العطلة مستمرة لتبقى هذه المدة الباقية هناك وستعود الينا مع

حفيدينا، وثم أرجو ألا تبقى تفكيرك عند الطفلين فهما يعيشان في لندن وليسا في الصحراء، ولا هما تحت قصف المدافع وصلبات البنادق وأنهما في رعاية أمهما وجدتهما.

ما أن تعود آته خان الى حالتها الطبيعية حتى تفاجأ باستفسارات وأسئلة وتدخلات الأقرباء والجيران، فكانت تضطر المسكينة أن تعيد لهم يومياً مرات عديدة الاسطوانة المعهودة، فكانوا يسألون:

- لماذا لم ترجع جيني وطفلاها؟.

وتحتاج آته خان وتتصنع ابتسامة على شفيتها لترد بأن (جنة) أردت أن تبقى فترة أطول للإستمتاع، وكانت تروي لهم أحاديث حفيديها وحكاياتهما الحلوة، فإذا كانت قد سمعت شيئاً يخص الطفلين من ثخشان كانت تضيف عليه أشياء وأشياء لترويه للسائلين لعل فضولهم يشبع ويتركونها لحالها.

ولكن الفضوليات منهن لم يكن يقتنعن بما سمعنه من آته خان بل كانت الواحدة تغمز للأخرى في محاولة أن تفهمها بأن هناك شيئاً ما في هذا الموضوع.

"أختاه، يقولون ان جيني أتصلت بالشرطة في لندن وأشتكت على حسن طالبة الطلاق فوراً، وانها لاترغب في العودة معه الى بلدنا".

واحدة أخرى منهن تنبري للقول:

يقولون ان الحاج ميرزا علي وآته خان يشافران الى لندن ليعيدا جيني والطفلين.

وتعترض امرأة أخرى قائلة:

- وهل تتصورين الذهاب الى لندن كالذهاب الى قرية (قركة) التي تبعد عن السليمانية مسافة بضعة كيلو مترات، ان ما تقولينه حول ذهاب الحاج وآته

خان الى لندن ليس صحيحاً. وكل ما في الأمر كما شرحتة آتة خان أرادت المرأة أن تبقى فترة أخرى مع أمها وأختها وأقربائها وستعود بعد انتهاء عطلة الأولاد، لست أدري من أين تأتون بهذه الحكايات؟.

ولكن إمراة أخرى تعض شفقتها معترضة وتقول:

- كما سمعت من ثيروز الخبازة ان جيني طلبت أن تعيش وحدها مع زوجها وطفليها في بيت مستقل، وأنها قالت لحسن لأريد أن أعيش مع أبويك. خلال الفترة المتبقية من العطلة الصيفية كان محور أحاديث نسوة الحي والنسوة القريبات يدور حول جيني وبقائها في لندن، وبالتأكيد كانت هذه التعليقات تؤثر سلباً على آتة خان وينقبض صدرها بها.

\*\*\*

فجأة ودون سابق أنذار توقفت ذات مساء سيارة أمام باب الحاج ميرزا علي نزل منها حسن وزوجته وحماته وطفلاه، وكان حسن قد تلقى مكالمة هاتفية من جيني أخبرته بموعد وصول الطائرة الى بغداد، لذلك ذهب لإستقبالهم وأستصحبهم الى السليمانية دون ان يخبر والدته وأراد أن يجعلها مفاجأة.

بهذا اسدل الستار على ذلك الفصل الذي كان متعلقاً بغياب جيني وعدم عودتها وتكهنات الفضوليات، اما الآن فقد فتحت الستارة لفصل جديد تدور أحداثه حول ما يتعلق بأم جيني ابتداءً من تراكسوتها الذي ترتديه والبنطلون الذي تلبسه والسجائر التي تدخنها ومشيتها وجلوسها الى آخر ذلك.

آتة خان كانت سعيدة بعودة جيني وحفيديها، ولفرحتها وسعادتها ذلك كانت تريد أن تحمل أم جيني على ظهرها، تأتي وتروح تقبل هذه

وتحتضن ذلك، وبين فينة وأخرى تهز ذراعها الممتلئ الأبيض المزين بسوارات ذهبية وتقول لأم جيني:

-حمداً لله على سلامة الوصول، جئت أهلاً على سلامة الوصول، جئت أهلاً ونزلت سهلاً، جاء معك الخير والبركة، تنورت المدينة بقدمك، فذاك بيتي وأبنائي خدامون عندك.

أما أم جيني فلم تكن تفقه شيئاً من كل هذا المديح والاحترام ولاتدري عماذا تتحدث أم حسن.

وفي بعض الحالات كانت آته خان تتوسل من نخشان لترجم لها ما تقوله. وتضحك نخشان لتقول لأمها: ماما هذه الكلمات لاتترجم أو على الأقل لايمكنني أن أترجمها، هذه المصطلحات تحتاج الى قاموس خاص والاوربيون لايفهمون هذه الكلمات أو بالأخرى لايفهمون هذه الأكاذيب وكلمات التملق من قبيل "بيتي هدية لك"، في هذه الحالة من المحتمل أن يتصور السامع ان هذا العرض حقيقي فيقبله على الفور ويقول.

-أوه.. كم انت امرأة رائعة ! شكراً لك، في الحقيقة ان بيتك جميل لابد لي أن أشكرك مجدداً.

وهكذا يتصور الطرف الآخر بانك فعلاً أهديته بيتك.

حين سمعت آته خان هذه الايضاحات من ابنتها اندهشت وضربت صدرها بيدها وقالت: -ويحي! ماذا تقولين؟ ان ما قلته هو من باب المجاملة واحترام الضيف وهذا شائع في المجتمع الكردي كما تعلمين.

مرة أخرى ضحكت نخشان وقالت:

-الانكليز والاوربيون الآخرون لايعرفون شيئاً عن هذه المجاملات لذلك أرجوك اتركها ولاتكرريها، لاداعي لها.

كانت ريتا مضطربة، أحياناً كانت ابنتها جيني تصبح دليلتها وتوضح لها الأشياء التي لاتفهمها، وكانت تقوم بتعريف الآخرين بها، وأرتها غرف البيت وملحقاتها، كما كانت تشرح لها أنواع المأكولات التي كانت توضع على المائدة أو على السفرة، كانت تقوم بالدور الذي في حينه قامت به ثخشان ازاها عند أول وصولها خصصوا لها غرفة واسعة مفروشة بالسجاد الثمين، كانت الفرحة لاتسعها وقالت لابنتها هامة:

-أيك أن تتخلى عن هذا النعيم، في كل سنة تزورينا مرة وأزورك مرة وأبقى عندك فترة طويلة، ولن نتحدث عن هذا الموضوع ثانية والمسافة التي بين بلدنا تقطعها الطائرة بساعات قليلة، إذا لاتوجد هناك أية مشكلة.

في النهار كانوا ياخذون ريتا معهم الى السوق والى الولاثم التي كان يقيمها الأقرباء بمناسبة قدومها، أو أنهم كانوا يستقبلون الضيوف، في هذه الحالة كانت ريتا تتصدر المجلس وتارة أخرى تجلس بجانب الحاج ميرزا وتبدأ بالحديث الذي لم يكن يفهمه الحاضرون، وأحياناً بكرديتها المكسرة تقوم جيني بترجمة بعض كلماتها أو تقوم ثخشان بالترجمة، وهذه العملية لم تكن مستمرة فأحياناً من عشرة كلمات من حديثها كانت المترجمة تترجم واحدة منها فقط، ولكن ريتا لم يكن يهتمها الأمر بل كانت تواصل حديثها. وآته خان كثيراً ما كانت تقول في نفسها:

-هذا هو الفرق بيننا وبين الأوربين، انظروا الى هذه المرأة الغربية التي لم يمرض على وصولها سوى بضعة أيام ولكنها بدأت تكيف نفسها وتجلس في حضرة الرجال وتدخن سجائرهما بكامل حريتها، وتضع رجلاً على الأخرى، وحين تشعر بتعب أو خدر في رجلها دون أية مبالاة تضع رجلها على الطبلبة الموضوعة أمامها، هل هذا بمقدوري أنا؟ كلا حتى لو أقتربت من الموت

لايمكنني أن أفعل ما تفعله هي، مع أنني اعتدت مجالسة الرجال وهم جميعاً من المحارم ولكنني أخجل القيام بمثل هذه الأمور. قبل أيام كنا في سرضنار أمام كل الحاضرين والناس الموجودين تمددت على فراشها ولم تحسب الحساب لأحد.

ذات صباح، وكانت آته خان وحدها مع حسن، وكعادتهما كانا قد أستيقظا مبكرين، قال حسن لأمه وهو يبتسم:

-صباح الخير، أماه.. كيف تنظرين الى الأوضاع؟.

ولم ينتظر الجواب بل واصل حديثه:

-ما هو رأيك لو نجد زوجاً مناسباً لأم جيئي، وحين تتزوج تبقى هي الأخرى هنا ولا تفكر بالرجوع الى انكلترا.

كانت آته خان قد انهمكت في اعداد الشاي والفطور وحين سمعت هذا الكلام من حسن لم تستطع أن تضبط نفسها وضحكت ملء شديها ثم قالت:

-وهل تتصور انها راغبة في الزواج؟ ماذا بقي لديها للزواج؟.

جلس حسن على أحد الكراسي المصفوفة حول المائدة، ومسح وجهه مرات بالخالوي الذي كان على كتفه وأجاب أمه:

-أنتِ لاتعرفينها يا أمي، ان قلبها طري أخضر، في انكلترا كان لها صديق خاص تخرج معه كل أسبوع مرتين في يومي السبت والأحد.

قال ذلك وهو يضحك ثم أكمل كلامه:

-أنا أقولها بجد، لنزوجها هنا.

ضربت آته خان على صدرها وقالت بهمس:

"أرجو الا تسمع جيئة ما يدور بيننا، انها حتماً ستغضب".

تناول حسن لقمة من فطوره وقال:

-حتى لو سمعت حديثنا، ماذا تفهم منه، على أي حال حماتي ليست مسكينة ولا هم يحزنون، انها نالت الأذى من زوجها حين كانت ابنتاها صغيرتين، ألا ترين يديها ورجليها كيف تصلبتا وتخشنتا من كثرة كدها للحصول على لقمة العيش لها ولبنتيها.

فأجابت الوالدة:

"في الحقيقة هي امرأة طيبة، أنها تراعيننا في كل شيء حتى ونحن نتحدث رغم أنها لاتفهم شيئاً مما نقوله ومع ذلك نراها تضحك مجاملة لنا، انها في هذه الحالة عكس ابنتها جيني، والحق يقال انها تحب اطفالك ايضاً ولكني استغربت كثيراً من تصرفها يوم سقط (ألان) على وجهه لم تتحرك الجدة ساكناً، لأخفى عليك، لقد غضبت في نفسي من ذلك التصرف".

فرد عليها ابنها:

"هذا هو الفرق بيننا وبينهم، انهم في مثل هذه الحالات لايعملون الضجة ولا يصرخون ولا ياطمون كما تفعلون انتم، انهم لايبعدون ما يسبب الخوف والقلق للطفل كل ما يعملونه هو أن يرتبوا على اكتافهم ويقولون:

-جسناً.. لاشيء.. لاتهتم.

أنا أتذكر تلك الحالة ورأيتك كيف صرخت وضربت صدرك بقوة، حتى توقعنا ان يغمى عليك لاشيء سوى ان "ألان" أبن الكلب سقط على الأرض وقد جرحت شفته، انهم يجعلون الطفل يثق بنفسه ولايدللونه كما نعمل، لأن الطفل حين يلقي مثل هذا التعامل يفقد ثقته بنفسه وتلازمه هذه الصفة حتى بعد أن يكبر ويظل يعتمد على أمه ويبقى عاجزاً عن القيام بأي شيء وحده.

ضحك حسن من كل قلبه بعد أن القى هذه المحاضرة على أمه ثم قام وعانق أمه ليذكرها بأسلوب تعاملها معه حين كان صغيراً وقال:



-أتذكرين يا أمي، في الأيام الباردة كنت تمتنعين عن غسل وجهي، بل كنت تجلبين فوطة مبللة بالماء الدافئ وتمسحين بها وجهي، ثم كنت تلفين عنقي بلفافين من الصوف وأحياناً كنت أضيق بهما الى أن أصل المدرسة حد الإختناق، وليس هذا فقط بل كنت تجبريني على الا أنزع بنطلون البيجاما بل اظل ألبسه تحت البنطلون وأنت تقولين: البرد قارص، لأريدك أن تتأذى وتمرض.

ولكن أتعلمين كيف يعود الأوربيون أطفالهم، حتى في الشتاء وأيام سقوط الثلج والأيام الممطرة عليهم ممارسة الرياضة ببنطلون قصير وفانيلة وعليهم الركض والهرولة وحين يقعون، يقولون لهم: لاشيء، لا يهم، أو انهم يأخذونهم الى السباحة وحين يعودون يكون شعر رأسهم مازال مبتلاً ولكنهم يعيدونهم الى مدارسهم دون ان يفعلوا شيئاً مما نعمله نحن.

\*\*\*

مضى مايقارب شهر على وجود ريتا معهم، ويوماً بعد آخر تزداد الهمسات والتعليقات من قبل قريبات وصديقات آته خان الى درجة كانت تتأثر بمضامين تعليقاتهن رغم أنها كانت تود أم جيني وكانت قد أبدت لها كامل أصول الضيافة والترحيب، وكانت أختها بهية تهمس في أذنها وتقول: "ويحك يا أختاه، يقولون ان هذه المرأة الأجنبية غير المسلمة تشرب ليلاً في السر نصف قنينة من الخمر، وعلمت أنها كانت قد سألت ثخشان فيما إذا توجد كنيسة في هذه المدينة، وكانت ثخشان قد أجابتها طبعاً عندنا مسيحيون كثيرون، علاقاتنا معهم جيدة، نحبهم ويحبوننا".

وكان ان ردت أم جيني على كلام ثخشان بقولها:

"إذاً سأذهب يوم الأحد القادم الى الكنيسة".

رغم أن آته خان لم تستسلم بسهولة بل أجابت أختها بقولها:  
"كل على دينه، وهل هذا يضر بشيء، كل واحد يذهب الى قبره، أنها  
اوربية وقد أعادت على شرب الخمر، لماذا تعيين عليها ذلك؟".

ألا تعلمين بأننا الآن عندنا وفي مدينتنا نساء رغم انهن مسلمات الا أنهن  
يشربن الخمر، ويعتبرن ذلك دليل الرقي والحضارة ومماشاة الموظفة، اذاً  
ماذا تقولين لهؤلاء؟ إنك تعيين عليها حتى دخولها الحمام والمرافق. وهل  
تودين أن أتدخل حتى في ذلك؟ وهل على أن أعودها طريقة الاغتسال وفق  
ما نستعملها، انها حرة وهي تعمل ما تعودت عليه، لقد جاءت بزيارة تبقى  
معنا في حدود شهرين، هل تودين ان أجبرها على اعتناق الدين الاسلامي  
من خلال هذين الشهرين، وتردين أن أغير طبائعها وعاداتها وحتى دينها ألا  
تعلمين ان الله سبحانه وتعالى يقول في القرآن الكريم "لا إكراه في الدين".  
كل انسان معتز بدينه، ان ابنتها تزوجت من أبني أخذناها الى الجامع  
ولفظت الشهادة وأعتنقت الإسلام برضاها، كلا ان ليس بالعمل الجيد، نحن  
لانملك أي حق على أمها.

وحين سمعت بهية من أختها هذا الحديث، بشيطنتها المعروفة عنها حركت  
شفتيها وقالت باستهزاء:

- ماشاء الله على أسلمة كنتك الحبيبة، أنها مسكينة لانفوتها فريضة  
الصلاة أبداً.

فردت عليها آته خان:

- أي والله- أحسنت يا أختاه ألاترين كيف أن بناتك المسلمات حريصات  
على أداء فريضة الصلاة، هل رأي أحد أية واحدة منهن يوماً على سجادة  
الصلاة، وهذا الذي أقوله عن بناتك ينطبق على أكثرية بنات ونساء أقربائنا

لأننا لانجد سوى أربعة أو خمسة من كل عشرة نساء منهن يوءدين الصلاة،  
انهن سافرات الوجوه ووجههن مطلية بالأصباغ والكريم، لماذا لاتتحدثين عن  
هؤلاء وتصبين جام غضبك على كُنْتِي وأمها، وأنتِ تعرفين ان ريتا امرأة  
انكليزية غريبة عن بلدنا وطبائِعنا وعاداتنا وتقاليدنا وحتى عن ديننا.  
أنكن لكثرة اشتياقكن للحديث عن الناس واختلاق الحكايات عن الأخريات  
لايرتاح بالكن إلا اذا تحدثتن عن سيرة الناس.

\*\*\*

هكذا كانت آته خان تنبري لهن وترد عليهن بحدة بالغة وتكيل لهم  
الصاع صاعين، ولكن الإنسان حين يعتاد على اسطوانة معينة يرددونها  
يومياً على مسامعه لابد أن يتأثر حتى ولو بنغمة واحدة من نغماتها، لهذا  
كانت أحياناً تبقى مترددة بين مصدقة ومكذبة للإقاويل التي كانت تسمعاها  
يومياً منهم، حتى انها كانت تدخل الحمام للإستحمام تغسل الحمام جيداً  
كأنها تريد تنظيفها من آثار أم جيني وتبدأ بقراءة بعض الأولاد ثم تبدأ  
بالأستحمام.

\*وأحياناً كانت تعاتب ابنها في سرها وتقول:

"آه يا ولدي! أكان ضرورياً أن تتزوج من امرأة أجنبية؟ لماذا لم تصبر  
كغيرك من أصدقائك ريثما تعود الى بلدك وتختار ما يختاره قلبك كنت  
تستريح وأنا أيضاً أشعر بالسكينة ولايصيبني كل هذا القهر والهمل والعطف  
والقلق والرد على النسوة المعلقات احياناً بخشونة.. ولكن هيهات أن الله  
قضى أمراً كان مفعولاً".

ثم تعود لتكمل حديثها في نفسها وتقول:

"أقسم بالله من يذكر (جنة) بسوء أنا الذي أعرف ماذا أعمل به".

انتهت الكتابة بالكردية في لندن في ١٩٨٥/٨ /٥  
وانتهت الترجمة الى العربية في لندن في ٢٠٠٨/١/٣٠

## تنويه واعتذار

في الثامن من نيسان (ابريل عام ٢٠٠٠) حين فجنا برحيل القائد والمفكر والأديب ابراهيم احمد، كانت الصدمة شديدة علي كزوجة وكرفيقة دربه الشائك في الحياة فكتبت بضعة كلمات في نفس التاريخ والتي نشرت فيما بعد في مقدمة كتابي (أوراق في السيرة الذاتية) المطبوعة عام ٢٠٠٦. وقد اعيد نشرها في الصفحة للأولى من الترجمة العربية لرواتي (العالم غابة) وقد كتب تحتها تاريخ ٢٠٠٨/٤/٨، وفي الحقيقة انني كنت قد كتبت تلك الاستطر في يوم الفاجعة اي في ٢٠٠٠/٤/٨ وليس في ٢٠٠٨/٤/٨ لذلك اقتضي التنويه والاعتذار.